المملكـة العربية السعودية
جامعة الملك عبدالعزيـز
كلية الشريعة والدراسات الاسلاميـة
مكة المكرمـة
***



النبوة والرسالة فى الاسـلام

رسالة مقدمة الى قسم الدراسات العليا الشرعيـة
لنيـل درجة الماجستير فى العقيدة

اشـراف :

الأستاذ الدكتور الشيخ / محمد يوسف الشيخ



اعـداد

مغفـور عثمـان

١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :ـ

فانه لمن دواعي سروري ان اقدم خالص شكري وتقديري الى جامعة الملك عبد العزيز والقائمين عليها ، وخصوصا المسئولين فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وعلى رأسهم سعادة عميد الكلية ، الذين أتاحوا لى فرصة الدراسة فى قسم الدراسات العليا وهيأوا لى ظروفا تساعدنى على ذلك . وأدعو الله أن يجزيهم جزاء حسنا .

كما أقدم خالص شكرى وتقديرى الى أصحاب الفضيلة أساتذة القسم الذين تلقيت العلم على أيديهم ، وأخص منهم فضيلة الاستاذ الدكتور الشيخ محمد يوسف الشيخ الذى قام بالاشراف على هذه الرسالة والذى لم يدخر وسعا ولم يأل جهدا فى تقديم كل ارشاد وتوجيه فى ساعات الاشراف الرسمية وفى منزله الذى يفتحه دائما لجميع الطلاب من أمثالى . فجزاه الله خير الجزاء .

وأخيرا أقدم شكرى وتقديرى الى القائمين على مكتبة جامعة الملك عبد العزيز ومكتبة الحرم الشريف بمكة المكرمة ومكتبة الأزهر بالقاهرة الذين عاونونى وسهلوا لى مهمة الاطلاع على المراجع الهامة والبحث . وكذا الى جميع من ساعدنى فى اعداد هذه الرسالة .

وجزى الله الجميع خير الجزاء .

فهـــرس المحتويـــــات

الموضـــــوع	الصفحـــة

الموضـــــوع	الصفحـــة

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبه أجمعـــين ، وبعـــد :

مقدمـــة

ان العقيدة من كل دين سماوى تتناول عناصر ثلاثة ، فمنها مايتعلق بالاله سواء ماوجب له أو ما استحال فى حقه أو ما جاز فى شأنه ، ومنها مايتعلق بالنبوات سواء مايتصل باثباتهـا وامكانها أو يتصل بالمعجزات وامكانها ودلالتها على صدق مدعى النبوة أو يتصل بما يجب للرسـل من صفات وما يجوز لهم ، ومنها ما يتعلـق بالسمعيات كالجزاء والحساب والصراط وغيرها .

ولا شك أن مفتاح هذه العناصر هو النبوات لأن الله اذا أراد أن يدعو قومـا الى دينه أرسل نبيه يدعوهم اليه .

وتتضح الحاجة الى النبوة سافرة فى قسم السمعيات من الدين فانه لا سبيـل الى العلم بها الا بواسطة النـبى .

لهذا كان موضوع النبوة جديرا بالبحث والعناية وميدانا قيما لدراسة جـادة فى العقيدة الاســلامية .

وهناك سبب آخر لا يقل شأنا عما تقدم ويدل على أهمية هذا الموضوع وهـو أن العصور المتأخرة ملئت بكتابات تتحدى الاسلام فى هذه الناحية من عقيدتـه .

فقد ركز أعداء الاسلام هجومهم على شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته .

كما ظهر فى أقطار عديدة من ادعى لنفسه النبوة وانتسب الى الاســلام زورا وبهتانا كغلام أحمد القـــاديانى وانخدع بعض الناس به وساروا فى ركبـــه وظنوا أنهم بذلـــــــــــــــــــك

يحسنون صنعا ، وبذلك صار الصراع الدائر بين الاسلام ومعارضيه يزداد حدة وشراسة ويحتاج الى معالجة واهتمام أكثر من جانب المسلمين .

من أجل ذلك كله اخترت هذا الموضوع ليكون مجال بحثى وموضوعا لرسالتى وجعلت عنوانها : " النبوة والرسالة فى الاسلام " .

وشجعنى أيضا على اختياره أنى لم أجد فيما أعلم كتابا يجمع فى صفحاته أهم قضايا النبوة وآراء علماء العقيدة فيها مع اتجاهاتهم المختلفة وبيان أدلتهم العقلية والنقلية بعبارة سهلة مبسطة تتناسب مع اتجاهات العصر .

وآمل من وراء هذا العمل أن أساهم فى تسليط الأضواء على أهم قضايا النبوة وأشارك بذلك فى معالجة بعض المشاكل فى العقيدة الاسلامية بعبارة سهلة واضحة وترتيب منظم .

وسألتزم فى هذا البحث — ان شاء الله — المنهج التالى : —

أولا — أبدأ بتحرير الموضوع الذى جرى فيه النزاع .

ثانيا — أسرد آراء علماء العقيدة فيه مع نسبة الرأى الى صاحبه وذكر أدلتها العقلية والنقلية مع الرجوع فى ذلك الى مصادرها الأصلية أو المراجع الأخرى المعتمدة كل ذلك على حسب ما أمكن وتيسر لى .

ثالثا — أنسب القول الى صاحبه فقط ولا أدعى أنه قول المذهب الفكرى الذى ينتمى اليه الا اذا بينت ذلك مصادر المذهب او المراجع التى يمكن أن تعتمد فى ذلك .

رابعا — أرجح ما أراه راجحا وأبطل ما أراه باطلا . والمقياس عندى البرهان الصحيح سواء كان من العقل او النقل . فالصحيح هو الذى أيدته الأدلة السليمة والباطل هو الذى أبطلته .

وأما خطة البحث فقد جعلت الرسالة بعد هذه المقدمة متضمنة تمهيدا

وخمسة فصول وخاتمة مرتبة كما يلى : —

تمهيد : قضايا النبوة فى كتب العقيدة .

الفصل الأول : النبى والرسول معناهما وامكان بعثتهما .

أ — النبى والرسول لغة .

ب — النبى والرسول اصطلاحا .

جـ — امكان بعثة الأنبياء والرسل .

د — الوحى وامكانـــــه .

الفصل الثانى : حاجة البشر الى بعثة الأنبياء .

أ — المسلك الأول .

ب — المسلك الثانى .

جـ — المسلك الثالث .

الفصل الثالث : النبوة عند الفلاسفة .

أ — مذهبهم فى النبـــوة .

١ — بعثة الأنبياء واجبـــة .

٢ — النبـــوة مكتسبة .

٣ — خصائص الأنبياء

ب — نقد مذهبهم فى النبوة .

١ — نقد مذهبهم فى وجوب بعثة الأنبياء .

٢ — نقد مذهبهم فى اكتساب النبـــوة .

٣) نقد مذهبهم فى خصائص ~~النبوة~~ الأنبياء

الفصل الرابع : اثبات ~~النبوة~~ والرسالة :

أ ـ المعجزة

١) معناها

٢) شروطها

٣) امكانها .

٤) دلالتها .

ب ـ اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

١) المسلك الأول : المعجزة .

أ ـ القرآن .

ب ـ معجزاته الأخرى .

٢) المسلك الثانى : نشأته وأحواله وأخلاقه والظروف التى كان يعيش فيها وحقيقة شريعته وصراعه مع الكفار وانتصاره عليهم.

الفصل الخامس : الصفات التى تجب للرسل والأنبياء .

خاتمة : نتائج البحث .

ومع أن البحث متواضع والحجم صغير الا أنى قد بذلت فيه جهدا ليس بيسير لاسيما فى سبيل الحصول على بعض المراجع الهامة .

وأرجو الله أن ~~تكون~~ هذه الرسالة ~~تعطى~~ تعطى نتائجها المرجوة ~~وأفادت~~ وتفيد من اطلع فيها ، كما أرجو أن نجعلها خالصة لوجهه الكريم.

والله ولى التوفيق واليه المستعان . ""

تمهيـــــــــــد

قضايـــا النبـوة فى كتـــب العقيـــــــدة

تمهيـــــد

قضايا النبـوة فـى كتـب العقيـدة

اهتم علماء العقيدة بقضايا الالوهية اهتماما عظيما • ويدل على ذلك أن صفحات كتبهم في العقيدة الاسلامية امتلأت بقضاياها بينما تحتل قضايا أخـرى صفحات أقل كثيرا •

فامام الحرمين — مثلا — جعل نصف كتابه الارشاد تقريبا يبحث فى قضايا الألوهية ، وجعل النصف الباقى فى القضايا العقدية الأخرى •

والآمدى جعل أكثر من نصف كتابه غاية المرام يبحث فى قضاياها وجعـــل الباقى لقضايا أخرى • وهكذا فعل آخرون •

أما قضايا النبوة فلم تحتل من صفحات كتب العقيدة مثل ما احتلته قضايـا الألوهية مع أن كلا منهما داخل فى قضايا أركان الايمان الستة وفى قضايا الشهادتين •

وأغلب الظن أن ذلك راجع الى كون المسائل التى أثيرت حولها أقل كثيرا من مسائل الألوهية • لأن أغلب الصراع بين الاسلام وبين أعدائه من التيارات — الدينية والفلسفية المعادية كان يدور حول قضايا الألوهية دون قضايا النبـــوة • وكذلك الصراع بين الفرق الاسلامية بعضها ضـد بعض •

ولما كان علماء العقيدة لم يكتبوا الا من أجل الدفاع عن المعتقدات الاسلامية لم يكن مستغربا أن تكون بحوثهم العقدية منصبة على القضايا التى كثرت اثارتهـــا فى ذلك العصر وهى قضايا الألوهية • فكثرت بذلك المسائل التى تبحث فيها •

واذا اعتبرنا أن كتب العقيدة هى المرآة الصادقة التى تتجلى فيها المسائل العقدية التى أثيرت فى عصر تأليفها نستطيع أن نقول مستندين على ما فى كتـــاب التمهيد (١) ان من أهم

(١) انظر مواضيع كتاب التمهيد للباقلانى •

مسائل النبوة التي أثيرت في عصر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) صاحب هذا الكتاب مسألة امكان بعثة الرسل وقد أثارتها البراهمة ومسألة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أنكرها اليهود والنصارى وغيرهم .

أما في عصر الايجي (ت ٧٥٦ هـ) استنادا الى كتابه المواقف (١) فقد اختلف الوضع واتسعت دائرة البحث . فزيادة على المسألتين السابقتين وجدنا مسألة خوارق العادة المعجزة وغيرها ومسألة خواص الأنبياء ومسألة عصمتهم وغيرها .

وهكذا وجدنا أن مسائل النبوة تكاثرت بحوثها مع مرور الزمن بتكاثر الصراعات العقدية التي دارت بين الاسلام والتيارات المناهضة له وكذا بين الفرق الاسلامية نفسها .

ثم ان قضايا النبوة متفرعة الى عدة جوانب ، منها ما يتعلق بحقيقة النبوة وامكانها وحاجة البشر اليها ، ومنها ما يتعلق بما يجب أن يتوفر للأنبياء من الصفات ، ومنها ما يتعلق بطريق اثباتها .

وقد بحث علماء العقيدة جميع هذه الجوانب اتفقوا على مسائل منها واختلفوا في أخرى ، واذا تأملنا بحوثهم وجدنا أن بعض اختلافاتهم في مسائل غير أساسية لا يوجد دليل قاطع فيها كمسألة الفرق بين النبي والرسول .

---

(١) أنظر مواضيع كتاب المواقف للايجي .

ولم تنل جميع قضاياها اهتماما متساويا من علماء العقيدة . بل لقد صرف علماء العقيدة اهتمامهم بقضية اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من اهتمامهم بقضايا أخرى . ولاعجب في ذلك ، فقد كان اثباتها هو الشغل الشاغل والهدف الذي يجرون من وراءه لأن في اثباتها ثبوت نبوة جميع الأنبياء والمرسلين من قبله وصحة جميع الأمور التي وردت على لسانه من العقائد والأحكام الشرعية .

الفصـــل الأول

النبــي والرســـول معناهمـا وامكان بعثتهمــــــا

أ ـ النبى والرســول لغــة٠

ب ـ النبى والرســول اصطلاحا ٠

جـ ـ امكان بعثة الأنبياء والرسل ٠

د ـ الوحــى وامكانـــــــه ٠

الفصـــــل الأول

النبي والرســـول معناهمـا وامكان بعثتهمـا

أ ـ النبي والرســول لغــــة

لفظ النَبيّ مأخوذ من النَبَأ ومعناه الخبر ، ومنه الأنباء أى الأخبـار قال تعالى : (ولقد جاءك من نبأ المرسلين)(١) وقال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود)(٢) وقال تعالى (فلما نبأها بـــه قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير)(٣) وقال تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم)(٤) .

وجمعه أَنبِياء ونُبَآء وأَنْبَاء ونَبِيون .(٥) ولم يرد في القرآن الا الأول والأخير قال تعالى (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)(٦) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)(٧) .

فهو فعيل بمعنى اسم الفاعل اى المنبيء ، أو بمعنى اسم المفعول أى المنبأ فنبي الله هو المنبيء الذى أنبأ الناس عن الله ، أو المنبأ الذى أنبأه الله

---

(١) الانعام : ٣٤
(٢) ابراهيم : ٩
(٣) التحريم : ٣
(٤) البقرة : ٣٣
(٥) تاج العروس للزبيدى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، جـ ١ ص ١٣١ — ١٣٢ . مادة : نبأ .
(٦) البقرة : ٩١
(٧) البقرة : ٢١٣

وقيل : هو مأخوذ من النَّبْوة وهو العلو والارتفاع ، يقال : تنبأ فلان اذا ارتفع وعلا . فمعنى النبى ~~العلى~~ العالى المرتفع المنزلة .(١)

وقيل : النبى الطريق الواضح ، فنبى الله هو الطريق اليه .(٢)

وصح أخذه من النبأ كما فى الوجه الأول لأن النبى أنبأه الله فينبئ الناس بما نبئ به . وصح أخذه من النبوة لأن النبى مرتفع المنزلة عند الله وعند المؤمنين . كما صح أيضا كونه بمعنى الطريق لأنه طريق الى الله تعالى أى طريق الى معرفته وطاعته وجزائه .

والأظهر أنه مأخوذ من النبأ لأن معنى الانباء عن الله تعالى خاص بالأنبياء دون غيرهم . ويؤيد هذا اضافة النبى الى الله فيقال : نبى الله ولا علاقة بين النبى وبين الله سوى أن الله ينبئه بما شاء أن ينبئه به من الأحكام (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) (٣) وقوله تعالى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) (٤) وقوله تعالى وغيرها . ويشهد بذلك ما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) (٥) وقوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) (٦) وقوله تعالى : (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) (٧) وقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) (٨) وقوله (اتبع ما أوحى اليك من ربك) (٩) وقوله تعالى :

---

(١) المواقف للايجى وشرحه للجرجانى ، دار الطباعة العامرة ، ١٣١١هـ ، ج٣ ص ١٧٣ . وأيضا : النبوات لابن تيمية ، مكتبة الرياض الحديثة ، ص٢٢٢ .

(٢) المواقف وشرحه ، ج ٣ ص ١٧٣ .

وأيضا : تاج العروس للزبيدى ، ج ١ ص ١٣٢ مادة : نبأ .

(٣) الحجر : ٤٩

(٤) القمر : ٢٨

(٥) النساء : ١٦٣

(٦) المائدة : ٦٧

(٧) ابراهيم : ١

(٨) النحل : ٤٣

(٩) الأنعام : ١٠٦

(اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة) (١) ~~وقوله تعالى (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) (٢)~~ وقوله تعالى (وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) (٣) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (٣) وقوله تعالى ~~(ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) (٥)~~ وغير ذلك من الآيات .

ونرى فيما سبق من الآيات أنها تشهد بأن النبى مأخوذ من النبأ سواء بمعنى أنه أنبئ كما فى قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) (٤) ، أو بمعنى أنه نبأ كما فى قوله تعالى (نبئ عبادى انى أنا الغفور الرحيم) (٥) .

واذن يحتمل أن يكون النبى فعيلا بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول . وقد اختلف العلماء فى ذلك . مال الألوسى الى اعتباره بمعنى اسم الفاعل . قال فى تفسير قوله تعالى (والذين يتبعون الرسول النبى) (٦) ما نصه : " (الذين يتبعون الرسول) الذى أرسله الله تعالى لتبليغ الأحكام (النبى) أى الذى أنبأ الخلق عن الله تعالى .

---

(١) العنكبوت : ٤٥
~~(٢) الحجر : ٤٩~~
(٣) الأنعام : ١٩
(٣) ابراهيم : ٤
~~(٥) القمر : ٢٨~~
(٤) النساء : ١٦٣
(٥) الحجر : ٤٩
(٦) الاعراف : ١٥٧

فالأول تعتبر فيه الاضافة الى الله تعالى والثانى تعتبر فيه الاضافة الى الخلق "[1]

ومال ابن تيمية الى كونه بمعنى اسم المفعول . قال : " فكذلك نبى الله هو بمعنى مفعول أى منبأ الله الذى نبأه الله . وهذا أجود من أن يقال أنه بمعنى فاعل اى منبىء . فانه اذا أنبأه الله فهو نبى الله سواء أنبأ بذلك غيره أم لم ينبئه ."[2]

والراجح ما قاله ابن تيمية من أنه بمعنى اسم المفعول . وذلك :

أولا ـ لأن النبى فى اصطلاح الشرع يلاحظ فيه كونه منبأ عن الله تعالى كما سيأتى تعريفه : " انسان أوحى اليه .... الخ " . فلأجل التنسيق بين المعنى اللغوى والاصطلاحى ينبغى أن يكون النبى فعيلا بمعنى مفعول .

ثانيا ـ لأن النبى انما يظهر امتيازه عن سائر البشر بكونه منبأ عن الله تعالى لا بكونه منبئا الناس ، فرجال الدعوة الى الله من غير الأنبياء ينبئون الناس عن الله مثل الأنبياء ولكنهم لم يكونوا منبئين عن الله .

وأما لفظ الرسول فبمعنى المرسل بفتح السين . وهو مأخوذ من الارسال أى التوجيه ومه فسر ارسال الله أنبياءه .[3]

---

(١) روح المعانى للألوسى ، ادارة الطباعة المنيرية ، مصر جـ ٩ ص ٦٩ .

(٢) النبوات لابن تيمية ص ١٦٦ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت . (١٩٥٦م/ ١٣٧٥ هـ) جـ ١١ ، ص ٢٨٣ . مادة : رسل . وأيضا : تاج العروس للزبيدى ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ . مادة : رسل .

ويقول ابن الأنبارى : ان الرسول معناه فى اللغة الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم جاءت الابل رَسَلا اى متتابعة ومعنى متابعة الأخبار سردها (١) . قال ابن منظور : ويقال هو يتابع الحديث اذا كان يسرده (٢) .

ويقول الراغب الأصفهانى : ان الرسول معناه المنبعث . وهو مأخوذ من الرِّسْل أى الانبعاث على التؤدة . ويقال تارة للقول المتحمل وتارة لمتحمل القول (٣) .

ولا مانع من كون هذه المعانى التوجيه ومتابعة الأخبار والانبعاث ملحوظة فى رسول الله . فهو قد بعثه الله ووجهه الى عباده ليدعوهم اليه وهو الذى تابع الأخبار وسردها عن الله تعالى . وفى القرآن الكريم ما يشهد بذلك . قال تعالى : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) (٤) وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٥) وقال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) (٦) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) (٧) . وقال تعالى (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم

---

(١) لسان العرب جـ ١١ ص ٢٨٤ . مادة : رسل . وأيضا : تاج العروس جـ ٧ ص ٣٤٤ . مادة : رسل .

(٢) لسان العرب جـ ٨ ص ٣١ . مادة : تبع .

(٣) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، تحقيق : محمد سيد كيلانى . مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ص ١٩٥ .

(٤) البقرة : ١٢٩ (٥) النحل : ٣٦ (٦) النساء : ١٦٣

(٧) النحل : ٤٣

بالبينات) (١) وقال تعالى (فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) (٢) وقال تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (٣) وقال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) (٤) .

والرسول جمعه رسل بالضمتين وقد يخفف السين ، وأَرْسُل ، ورُسَلاء (٥) . ولم يرد في القرآن الا الأول ، قال تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) (٦)

واذا كان رسول الله هو الذى أرسله الله الى عباده ووجهه وبعثه اليهم وسرد الأخبار عن الله لهم ، فالرسالة هى : ارسال الله له الى عباده أى اصطفاء الله له رسولا اليهم . قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (٧) .

ب — النبى والرسول اصطلاحا :

اختلف العلماء فى تحديد معنى النبى والرسول اصطلاحا . هل هما بمعنى واحد فى الاصطلاح أو مختلفان .

فمنهم من قال أنه لا فرق بينهما . فالنبى هو الرسول والرسول هو النبى . ومنهم من فرق بينهما .

---

(١) يونس : ٧٤
(٢) التغابن ١٢
(٣) سبأ : ٢٨
(٤) المائدة : ٦٧
(٥) لسان العرب ج ١١ ص ٢٨٣ . وأيضا : تاج العروس ج ٧ ص ٣٤٤
(٦) النساء : ١٦٤
(٧) الحج : ٧٥

ومن قال بعدم الفرق بينهما القاضي عبد الجبار المعتزلي . يقول في كتابه شرح الأصول الخمسة : "انه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي"[١]

ويظهر من كلام الطبري من المفسرين أنه لا فرق بينهما اذ قال في تفسير قوله تعالى (ويقتلون النبيين بغير الحق)[٢] . " ويقتلون رسل الله الذين ابتعثهم لانباء ما أرسلهم به عنه لمن أرسلوا اليه "[٣] وقال في تفسير قوله تعالى : (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق)[٤] : فانه يعني بذلك أنهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يرسلون اليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله "[٥] وقال في تفسير قوله تعالى : (وحصورا ونبيا من الصالحين)[٦] : " فانه يعني رسولا لربه الى قومه ينبئهم عنه بأمره ونهيه وحلاله وحرامه ويبلغهم عنه ما أرسله به اليهم[٧] . "

وقال بذلك أيضا سعد الدين التفتازاني من الأشاعرة . يقول في كتابه : " النبي انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه وكذا الرسول"[٨] .

وهذا واضح أنه لا فرق بينهما .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، تحقيق : د . عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبه ، ط أولى ، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥م ص٥٦٧ .
(٢)البقرة : ٦١
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، تحقيق : محمود محمد شاكر . دار المعارف . جـ ٢ ص ٣١٦ .
(٤) آل عمران : ٢١
(٥) جامع البيان ، جـ ٦ ص ٢٨٤
(٦) آل عمران : ٣٩
(٧) جامع البيان ، جـ ٦ ص ٣٨٠
(٨) مقاصد الطالبين وشرحه ، للتفتازاني ، دار الطباعة العامرة ، ١٢٧٧ هـ ، جـ ٢ ، ص١٢٨ .

واستشهدوا لهذا القول

~~ومما يؤيد القول بعدم الفرق بينهما~~ أن نبينا محمد ا صلى الله عليه

وسلم يخاطب بهما في القرآن الكريم • قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)(1) وقال تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)(2) ، كما أنه لا يوجد نص صريح يفرق بينهما في المعنى ، بل صرح القرآن ان النبى مبشر ومنذر كما ان الرسول مبشر ومنذر • قال تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين)(3) وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)(4) •

وقال آخرون ان هناك فرقا في المعنى بين النبى والرسول •

وقد ذهب الى هذا القول جماعة منهم أبو منصور البغدادى من الاشاعرة(5) والجاحظ من المعتزله(6) وابن تيمية من السلفيين(7) وغيرهم •

ومن أدلة هذا القول :

١ ـ قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته)(8) فعطف نبى على رسول في هذه الآية يدل على تغايرهما في المعنى •

---

(١) المائدة : ٦٧
(٢) التوبة : ٧٣
(٣) الأنعام : ٤٨
(٤) البقرة : ٢١٣
(٥) أصول الدين ، للبغدادى ، طبعة مدرسة الالهيات ، استانبول ، ١٣٤٦هـ ١٩٢٨م ، ط اولى ، ص ١٥٤ • (٦) أعلام النبوة ، للماوردى ، ص ٣٨ •
(٧) النبوات ، لابن تيمية ص ١٧٢ (٨) الحج : ٥٢

٢ ـ قوله عز وجل (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا)(١) ، وقوله عز وجل (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)(٢) . ففى هاتين الآيتين جاء صفتين لشخص واحد ، وهذا يدل على اختلاف معناهما ، والا لكان تكرارا وهو يخل بالفصاحة .

٣ ـ ان اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات غالبا .

٤ ـ حديث أبى ذر رضى الله عنه وفيه : " فقلت : يارسول الله كم النبيون ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى . قلت : كم المرسلون منهم ؟ قال : ثلاثة مائة وثلاثة عشر . "

وهذا الحديث رواه الحاكم فى المستدرك وصححه(٣) . ورواه ابن حبان وصححه(٤) . ورواه أحمد بن حنبل فى مسنده عن أبى أمامة(٥) . وذكره ابن حجر فى فتح البارى وقال : " صححه ابن حبان "(٦) ولم يعلق عليه فكأنه أقره .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن الحديث ضعيف لعدم ثقة رواته . فقد قال الذهبى فى أحد رواة الحاكم وهو يحيى بن سعيد السعدى البصرى الراوى عن عبد الملك بن جريج : " السعدى ليس بثقة " ، وقال فى ابراهيم بن هشام

---

(١) مريم : ٥١

(٢) مريم : ٥٤

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ط اولى ، ١٩٦٨ م جـ ٢ ص ٥٩٧ .

(٤) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، للهيثمى ، المطبعة السلفية ، القاهرة ص ٥٢ ـ ٥٣ ، ٥٠٨ .

(٥) مسند الامام احمد بن حنبل ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣١٣ هـ ، جـ ٥ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٦) فتح البارى ، لابن حجر العسقلانى ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م جـ ٧ ص ١٧١ .

(٧) تلخيص المستدرك ، فى هامش المستدرك للحاكم ، جـ ٢ ص ٥٩٧

ابن يحيى أحد رواة الحديث عند ابن حبان : " أحد المتروكين الذين شاهم ابن حبان فلم يصب[١] الا أن الذهبي نفسه نقل عن الطبراني قوله في هذا الحديث : لم يرو هذا عن يحيى الا ولده هشام وهم ثقات.[٢]

أما رواية أحمد بن حنبل فقد تكلم في رواته معان بن رفاعة وعلى بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن الراوى عن أبى أمامة[٣] . فهو ضعيف من هذا الطريق.

وهذا الحديث روى بلفظ آخر ولم يذكر فيه عدد الأنبياء بل ذكر فيه عدد الرسل . رواه الطبرانى عن أبى أمامة في الأوسط ورجاله رجال الصحيح[٤] . ورواه الحاكم عن أبى أمامة أيضا في المستدرك وصححه وحكم بأنه على شرط مسلم.[٥] وأقره الذهبي في ذلك[٦] .

وقد زعم ابن الجوزى أن الحديث المذكور موضوع . وهذا غير صحيح .

ومن أجل كثرة طرقه ذكر الالوسى ان الحديث جبر ضعفه بالمتابعة .

يقول في روح المعاني بعد ذكر الحديث : " وقد أخرج ذلك — كما قال السيوطى — أحمد وابن راهويه في مسنديهما من حديث أبى أمامة وأخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث أبى ذر . وزعم ابن الجوزى أنه موضوع. وليس كذلك .

---

(١) ميزان الاعتدال ، للذهبى ، تحقيق : على محمد البجاوى ، جـ٤ ص ٣٧٨
(٢) ميزان الاعتدال ، المذهبى ، جـ ١ ص ٧٣
(٣) الفتح الربانى ، لأحمد عبد الرحمن البنا الساعاتى ، مصر ، ١٣٧٦هـ جـ ٢٢ ص ٣٧٢ .
(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمى ، مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٥٢ هـ جـ ١ ص ١٩٦ .
(٥) المستدرك للحاكم ، جـ ٢ ص ٢٦٢ .
(٦) تلخيص المستدرك ، في هامش المستدرك للحاكم ، جـ ٢ ص ٢٦٢ .

نعم قيل فى سنده ضعف جبر بالمتابعة (١) .

والحديث المذكور صريح فى أن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل . وفى ذلك دلالة على أنهما مختلفان معنى ، اذ لو اتفقا معنى لتساوى عددهما . وهذا القول هو الأرجح . وأما القول الأول ففى الأدلة التى ذكرت لتأييده بحث :

أولا : كون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نودى بهما لا يقتضى اتحادهما فى المعنى . بل يجوز ان يكونا وصفين مختلفين اجتمعا فيه فتارة يلاحظ أحدهما فينادى به وتارة يلاحظ الآخر فينادى به ، كما اذا اشتهر شخص بالشجاعة والعلم فتارة ينادى بيا شجاع وتارة ينادى بيا عالم .

ثانيا : كون القرآن صرح بأن كلا منهما مبشر ومنذر لا يقتضى اتحادهما فى المعنى ، بل يجوز أن يكونا معنيين مختلفين لهما مظهر واحد . كما أن الانسان يشترك مع الفرس فى الحركات الاختيارية ولا يدل ذلك على اتحادهما .

فلا نسلم ان الاتحاد ~~فى الخواص~~ فى بعض الصفات يدل على ان الحقيقة فى النبى والرسول واحدة لجواز ان يكونا مشتركين فى معنى يجمعهما ويتميز كل منهما بمعنى يخالف الاخر . واذن ~~فالخاصة~~ فالصفة المشتركة بينهما يجوز أن تكون نتيجة ومظهرا للجزء المشترك بينهما ، وأما الجزء الخاص بكل منهما فله مظهر مخالف ما للآخر .

كما نرى بين الانسان والفرس فانهما حقيقتان مختلفتان قطعا ولهما

---

(١) روح المعانى ، للألوسى ، ج ١٧ ، ص ١٧٢ .

مظهر مشترك يرجع للحيوانية المشتركة بينهما ، ورغم هذا فهما مختلفان حقيقة .

اذن فيجوز أن يكون اشتراك النبى والرسول فى التبشير والانذار راجعا الى معنى مشترك بينهما ، بينما تكون حقيقتهما مختلفة .

والذين قالوا بأنهما مختلفان فى المعنى اختلفوا فى تحديد الفرق بينهما .

١ — حكى التفتازانى عن بعضهم أن النبى انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه . فان كان له شريعة وكتاب فهو رسول أيضا (١) . ولم يذكر مستند هذا القول .

ويظهر منه أن كلا منهما انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه . كما يظهر أن النسبة بينهما عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول نبى ولا عكس وأن الفرق بينهما وجود مجموع أمرين الشريعة والكتاب ، فمن وجد له مجموعهما فهو نبى ورسول أيضا ، ومن لم يوجد فهو نبى فقط وليس برسول .

ومقتضاه أن عدد الكتب المنزلة لا يمكن أن يكون أقل من عدد الرسل .

ولذلك اعترض عليه التفتازانى بما ورد فى الحديث من زيادة عدد الرسل على

---

(١) مقاصد الطالبين وشرحه ، ج ٢ ص ١٢٨ .

عدد الكتب المنزلة . (١) روى ابن حبان عن أبي ذر حديثا مطولا وفيـــه :
" قلت : يا رسول الله كم كتابا أنزله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب .
أنزل على شيث خمسين صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة . وأنــزل
على ابراهيم عشر صحائف . وأنزل على موسى قبل التوراة عشرة صحائـــف
وأنزل التوراة والأنجيل والزبور والفرقان " .

وهذا الحديث المطول هو نفس الحديث الذى فيه ذكر عدد الأنبيـاء
والرسل الـــذى صححه ابن حبان . (٢)

٢ ـ ولهذا الاعتراض عدل بعضهم الى القول " ان الرسول من له كتاب أو
نسخ لبعض أحكام الشريعة السابقة والنبى من يخلو عن ذلك " . (٣)

وهذا القول خلافا للقول الأول لم يشترط فى الرسول الجمع بين الكتـاب
والشريعة بل يكتفى بأحد الأمرين : الكتاب أو الشريعة الناسخة . .
فالرسول هو الذى له كتاب أو شريعة ناسخة وهذا ينطبق نظريا على من
له كتاب ولا نسخ له وعلى من له نسخ ولا كتاب ، وعلى من له كتاب ونسخ .
وأما من ليس له نسخ ولا كتاب فهو نبى وليس برسول .

ويبدو من صنيع التفتازانى حينما حكى هذا القول أن النسبـــــــة

---

(١) مقاصد الطالبين وشرحه ، جـ ٢ ص ١٢٨

(٢) موارد الظمآن ، ص ٥٣ وأيضا : فتح البارى ، جـ ٧ ص ١٧١

(٣) مقاصد الطالبين وشرحه ، جـ ٢ ص ١٢٨

بين الرسول والنبي عند صاحبه عموم وخصوص مطلق • فكل رسول نبي ولا عكس •

ولم أقف على مستند هذا القول كما أن التفتازاني لم يذكره أيضا •

٣ ـ وأما أبو منصور البغدادي من الأشاعرة فقد قال بأن الفرق بينهما وجود شرع جديد له فمن أتى بشرع جديد سواء كان على الابتداء أو نسخا لبعض أحكام شريعة تقدمت فهو رسول ، والا فهو نبي •

يقول في كتابه أصول الدين : " وكل رسول الله عز وجل نبي وليس كل نبي رسولا • والفرق بينهما ان النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي ، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله " (١) •

ويظهر واضحا مما قاله البغدادي أن النسبة بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق فكل رسول نبي ولا عكس ، وأن الفرق بينهما أمر واحد وهو وجود شريعة مبتدئة أو ناسخة له فمن كان له ذلك فهو نبي رسول والا فهو نبي فقط •

٤ ـ وحكى الماوردي قولا آخر ونسبه الى الجاحظ من المعتزلة • يقول الماوردي :

" ان الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره • قاله الجاحظ " (٢)

---

(١) أصول الدين ، ص ١٥٤

(٢) أعلام النبوة ، للماوردي ، ص ٣٨ •

ويتضح منه ان النبى والرسول بينهما تباين . فليس الرسول نبيـــا ولا النبى رسولا .

٥ — وهناك قول آخر حكاه الماوردى : " ان الرسول هو الذى ينزل عليه الملائكة بالوحى والنبى هو الذى يوحى اليه فى نومه ."(١)

ويظهر من هذا التعريف ان كلا منهما أوحى اليه الا أن الذى أوحى اليه عن طريق الملك هو الرسول والذى أوحى اليه فى نومه هو النبى وبذلك يتضح أن بينهما تباينا فليس الرسول نبيا وليس النبى رسولا .

وهذان القولان باطلان ، لأن الله تعالى قد وصف موسى واسماعيل عليهما السلام بأنهما رسولان نبيان ، فكيف يجوز ان يكون بين النبى والرسول تباين . قال تعالى فى موسى (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا)(٢) وقال فى اسماعيل (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)(٣) .

٦ — وأما الشيعة الاثنا عشرية فلهم قول آخر .

يقول أحد علماؤهم المعاصرين فى بيان الفرق بين النبى والرسول :

" فالرسول يستطيع رؤية جبرائيل وسماع حديثه ومكالمته شفاها ، والنبى دون ذلك يسمع صوته ولا يرى شخصه فى حالات اليقظة ولكنه يراه فى المنام وعن طريق النوم واسماع صوت الملك يستلهم الوحى الالهى ".(٤)

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) مريم : ٥١ .

(٣) مريم : ٥٤

(٤) أصول العقيدة ، لمهدى الصدر ، دار الزهراء ، بيروت ، جـ ٢ ص٨٩

واستدلوا بما رواه الكليني عن أبي جعفر محمد الباقر . قال : عن زرارة قال سألت أبا جعفر (ع) عن قول الله عز وجل (وكان رسولا نبيا) ما الرسول وما النبي ؟ قال : النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك ، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك " (١)

أقول : ومثل هذا الدليل لا يعبأ به لعدم وروده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٧ — وقال ابن تيمية : ان من " أرسل الى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول . وأما اذا كان انما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول " (٢)

وأوضح ما سبق بأن " الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول . " (٣)

ثم بين " أن النبي مرسل ولا يسمى رسولا عند الاطلاق لأنه لم يرسل الى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) العلماء ورثة الأنبياء " وبين أيضا أن " ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة " (٥) وهذا يعني

---

(١) أصول الكافي ، للكليني ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م ، المجلد الثاني ، ص ٢٩ — وأيضا : حق اليقين في معرفة أصول الدين ، عبد الله شبر ، تهران ، جـ ١ ص ١٠٢

(٢) النبوات ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٧٣

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) نفس المصدر والصفحة .

ان ابن تيميـة يرى أن النبى مرسل من قبل الله تعالى كما ان الرسول مرسل ولكن النبى لا يسمى رسولا عند الاطلاق ، وان الفرق بينهما ان الرسـول مكلف من قبل الله تعالى بتبليغ ما أوحـى اليه الى قوم مخالفين بخـلاف النبى فهو يبلغ الى قوم مؤمنين موافقين ولم يشترط ابن تيمية فى الرسول ان يكـون له شريعة جديدة .

أما كون كل من الرسول والنبى مرسلا فقد استدل على ذلك بقوله[1] تعالـى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته)[2] فقد انصب الارسال على كل من الرسول والنبى .

وذكر ابن تيمية أنه ثبت فى الصحيح ان نوحـا أول رسول بعث الى أهـل الأرض وكان قبله أنبيا ، كآدم وشيث وادريس ، ونقل عن ابن عباس انه كـان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، وحكم ان هؤلاء من آدم وشيـث وغيرهما ممن كانوا قبل نوح انما كانوا أنبياء وليسوا رسلا لأنهم كانوا يبلغـون الى قوم مؤمنين موافقين لهم فهم مثل أنبياء بنى اسرائيل . وبناء على ذلـك يقول ابن تيمية ان الرسول هو الذى أرسل الى قوم مخالفين . ثم أيد دعواه بقوله تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)[3] وقوله تعالى (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك)[4] وقوله (وما أرسلنا مـن قبلك الا رجالا نوحـى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الأرض فينظـروا

---

(١) نفس المصدر والصفحة
(٢) الحج : ٥٢
(٣) الذاريات : ٥٢
(٤) فصلت : ٤٣

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون •
حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء
ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين)[1] وقوله (انا لننصر رسلنا والذين امنوا
فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)[2] •

واستدل لقوله أن ليس من شرط الرسول ان يأتى بشريعة جديدة بأن
يوسف وداود وسليمان عليهم السلام كانوا رسلا وكان يوسف على ملة ابراهيم
وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة[3] •

ولا اعتراض على قوله بأن النبى مرسل كالرسول ، وكذا على قوله أنه
لا يشترط فى الرسول ان يكون له شريعة جديدة • ولكن هناك اعتراض على
قوله ان الرسول مرسل الى المخالفين وان النبى مرسل الى المؤمنين الموافقين •

أولا : ان ما استدل به ابن تيمية من الآيات القرآنية لا يدل على مادعاه
لأن تلك الآيات انما سيقت لبيان ما حدث على الرسل من مخالفة
قومهم لهم • وليس فى ذلك دلالة على أن مخالفة القوم للرسل
هى الفرق بينهم وبين الانبياء • فليست مخالفة القوم لهم داخلة
فى مفهوم الرسالة بل هى أمر طارئ على كل مبشر ومنذر •

ثانيا : ان الحديث الذى أورده لم يدل الا على كون نوح أول الرسل وأن آدم
وغيره ممن كانوا قبل نوح كانوا أنبياء وكان أقوامهم على الاسلام •

---

(١) يوسف : ١٠٩ — ١١٠
(٢) غافر : ٥١
(٣) النبوات ، ص ١٧٣ — ١٧٤

وهذا حكايـة لما حدث على نوح والأنبياء قبله وأقوامهم ٠ وليس فـي ذلك دلالـة على ما ادعـاه ابن تيميـة ٠

ثالثا : ان القرآن صرح في ايات عديدة ان الأنبياء أيضا خالفهم قومهم قـال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) (١) وقـال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) (٢) ٠ وقال (وما يأتيهـم من نبـي الا كانوا به يستهزءون) (٣) وقال (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق) (٤) وقال (ان الذين يكفرون بآيات اللـه ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من النـاس فبشرهم بعذاب أليم) (٥) وقال (كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبيـاء بغير حق) (٦) وقال (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهـم الأنبيـاء بغير حق) (٧)

فقد بين القرآن بوضوح ان لكل نبي عدوا من شياطين الجن والانـس ومن المجرمين ، وان بعض الأنبيـاء كان قومهم يستهزءون بهـم وأن بعضهم قتلهم قومهم الكافرون ٠ وهذا يدل على أن الأنبياء خالفهـم قومهم ٠ وفي ذلك دلالـة على ضعف ما قاله ابن تيمية من ان الرسـول هو الذي أرسل الى المخالفين وان النبي هو الذي أرسل الى المؤمنين غـير المخالفـين ٠

---

(١) الأنعام : ١١٢ (٢) الفرقـان : ٣١ (٣) الزخرف : ٧
(٤) البقرة : ٦١ (٥) آل عمران : ٢١ (٦) آل عمران ١١٢
(٧) النساء : ١٥٥

٨ — وذهب اللقاني من الأشاعرة الى أن النبي انسان أوحي اليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لا ، فان أمر بتبليغه فهو نبي ورسول أيضا ، وان لم يؤمر بتبليغه فهو نبي فقط وليس برسول . وتكون النسبة بينهما عموم وخصوص مطلق ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا . ولا يشترط في الرسول أن يكون له كتاب .

يقول في اتحاف المريد : " هو (أي النبي) انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه أم لا ، فهو أعم من الرسول الذي هو انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه كان له كتاب أم لا "(١) .

وقد قال بهذا القول السفاريني(٢) وقال ابن أبي الشريف القدسي ان هذا القول هو المشهور بين العلماء(٣) .

ويؤخذ منه أن الفرق بينهما وجود الأمر بالتبليغ من الله سبحانه وتعالى . فلا ينفي ذلك أن يكون النبي مبشرا ومنذرا لقومه بأن أمرهم بالمعروف وطاعة الله ونهاهم عن المنكر ، لأن الفرق بينهما ليس في صدور التبشير والانذار منه .

ولم يذكر كل منهم مستند هذا القول كما أني لم أقف على أدلته التي يمكن أن تعتمد .

---

(١) اتحاف المريد بجوهرة التوحيد ، لعبد السلام اللقاني ، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٥م/١٣٧٥ هـ ط ثانية ، ص ١٤ .

(٢) لوائح الأنوار البهية ، لمحمد بن أحمد السفاريني ، نشر : الشيخ علي آل ثاني ، جـ١ ص ٤٩ ، جـ ٢ ص ٢٥٨ .

(٣) المسامرة بشرح المسايرة ، لابن أبي الشريف القدسي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ص ٢٣١

وأنظر ايضا : شرح الفقه الاكبر لأبي حنيفه لملاعلي القاري ، مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، ص ٩٠

ويعترض عليه كيف يجوز للنبى أن لا يؤمر بتبليغ الشرع الذى أوحى اليه وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن لا يكتموه وذم أولئك الذين يكتمونه • قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) (١) كما ورد فى الحديث ان كاتم العلم يلجم يوم القيامة بلجام من نار • عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن • (٢)

وقد يجاب عن هذا الاعتراض : ان كاتم العلم مذموم ويعذب يوم القيامة اذا كتم علما وجب نشره • أما اذا لم يجب نشره بأن كان علما خاصا بالنبى فلا يذم ولا يعذب كاتمه •

ورد بأن ذلك يمكن أن يصح اذا كان ما أوحى الى النبى غير شرع أما اذا كان شرعا فما فائدة الشرع اذا كان خاصا بالنبى ولم ينشره بين أمته •

وقد يقال لعل الفائدة أن يعمل بهذا الشرع فى خصوص نفسه •

وقد مال الى هذا القول صاحب شرح الطحاوية من السلفيين •

يقول فى شرح الطحاوية : " وقد ذكروا فروقا بين النبى والرسول

---

(١) آل عمران : ١٨٧

(٢) رياض الصالحين ، لمحيى الدين أبى زكريا النووى ، مصطفى البابى الحلبى وأولاده • ط أولى ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ص ٤٦٨

وأحسنها ان من نبأه الله بخبر السماء ان أمره أن يبلغ غيره فهو نبى ورسول ، وان لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبى وليس برسول فالرسول أخص من النبى فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا " (١)

وقال بذلك أيضا صاحب المنار محمد رشيد رضا . يقول : " وأما فى الاصطلاح فالنبى من أوحى الله اليه وأنبأه بما لم يكن يعلم كسبا من خبر أو حكم يعلم به علما ضروريا انه من الله عز وجل . والرسول نبى أمره الله تعالى بتبليغ شرع ودعوة دين واقامة عمل . ولا يشترط فى الوحى اليه أن يكون كتابا يقرأ ولا شرعا جديدا يعمل به ويحكم بين الناس بل قد يكون تابعا لشرع غيره كله .... وجملة القول أن الرسول أخص فى عرف شرعنا من النبى فكل رسول نبى ولا عكس " (٢)

٩ — وذكر صاحب شرح هداية المريد قولا آخر ان " بينهما عموما وخصوصا من وجه يجتمعان فى انسان ذكر أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه وينفرد النبى فى انسان ذكر أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه . والرسول فى ملك أوحى اليه وبعث الى غيره " (٣)

---

(١) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ، لعلى بن على بن محمد بن أبى العز ، نشر : زكريا على يوسف ، القاهرة ص ٨٢

(٢) تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا ، دار المنار ، ١٣٦٧ هـ ، ط ثانية ، جـ ٩ ص ٢١٧ .

(٣) عمدة أهل التوفيق والتسديد فى شرح هداية المريد لعقيدة أهل التوحيد لمحمد عليش ، المطبعة المصرية البهية ، ١٣٠٦ هـ ، ص ١٦٩ .

وهذا القول مثل القول المشهور السابق ذكره الا فى اعتبار الملك الموحى اليه والمبحوث الى غيره رسولا • واذا أسقطنا هذا الاعتبار نظرا لأن كلامنا فى الأنبياء والرسل الذين من البشر والذين أرسلوا الى الأمم فلا فرق بين هذا القول والقول المشهور السابق •

وهؤلاء الذين أوردت أقوالهم لم يذكروا لها أدلتها الا ابن تيمية ، وقد عرفنا ضعف الأدلة التى ساقها لتأييد قوله • أما الشيعة فدليلهم لا قيمة له لعدم وروده من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

ثم الأقوال فى النبى والرسول تنحصر فى الاحتمالات التالية : ـ

١ ـ أن يكون بينهما ترادف ، فمفهوم النبى والرسول واحد • وقد عرفنا عدم صحة هذا القول فيما سبق وضعف أدلته وصحة القول بالفرق بينهما •

٢ ـ أن يكون بينهما تباين فلا يجتمع النبى والرسول فى شخص واحد • وهذا أيضا باطل ، لأن الله تعالى قد وصف موسى عليه السلام بأنه رسول نبى ، قال تعالى : (واذكر فى الكتاب موسى أنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا)(١) ووصف اسماعيل عليه السلام بأنه رسول نبى أيضا قال تعالى : (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)(٢) • كما نادى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم تارة بيا أيها الرسول وتارة بيا أيها النبى قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم

---

(١) مريم : ٥١

(٢) مريم : ٥٤

تفعل فما بلغت رسالته) [(١)] وقال عز وجل : (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) [(٢)] ٠

٣ — ان يكون بينهما عموم وخصوص مطلق ٠ وهذا يحتمل أمرين : اما أن يكون الرسول أعم من النبى فيكون كل نبى رسولا ولا عكس ٠ أو أن يكون النبى أعم من الرسول فيكون كل رسول نبيا ولا عكس ٠

أما أن يكون الرسول أعم من النبى فهذا ضعيف ٠ لما ورد فى الحديث السابق ان الأنبياء أكثر عددا من الرسل والتفاوت بينهما فى العدد كبير٠ فلو كان الرسول أعم من النبى لكان عدد الرسل أضخم من عدد الأنبياء ٠٠ بقى الأمر الثانى وهو كون النبى أعم من الرسول وان كل رسول نبى ولا عكس ٠ وهذا الاحتمال قريب ولا يتعارض مع الآيات السابقة والحديث المذكور ٠ وورد فيه أقوال كثيرة كما عرفنا ٠

٤ — وهناك احتمال آخر وهو أن يكون بين النبى والرسول عموم وخصوص من وجه بأن يكون بعض الأنبياء رسلا والبعض الآخر أنبياء فقط وبعض الرسل رسلا فقط ٠ وورد على هذا الاحتمال قول ذكره صاحب شرح هداية المريد وقد أسقطناه، لأن كلامنا فى الأنبياء والرسل من البشر وليس فى الرسل من الملائكة ٠

واذا نظرنا الى لفظ الحديث السابق فى عدد الأنبياء والرسل وجدنا فى رواية ابن حبان هكذا ٠ " قلت يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال مائة ألف وعشرون ألفا ٠ قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال ثلاثمائة وثلاثة

---

(١) المائدة : ٦٧
(٢) التوبة : ٧٣

عشر جما غفيرا " (١) وفى رواية الحاكم هكذا : " فقلت يا رسول الله كم النبيون قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى قلت كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر " (٢) ، وفى رواية أحمد بن حنبل عن أبى أمامة هكذا : " قلت يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا " (٣) وهذه الألفاظ " كم المرسل من ذلك " و " كم المرسلون منهم " و " المرسل من ذلك " تشير الى أن النسبة بين النبى والرسول عموم وخصوص مطلق وأن النبى أعم من الرسول . [illegible]

[illegible] .

وقد عرفنا أن جميع الأقوال التى وردت فى وجه الفرق بين النبى والرسول أما أن يستند الى دليل ضعيف أو لم يذكر صاحبه دليلا له كما أن بعضها ورد عليه اعتراض يصعب الجواب عنه . وبذلك لم نتوصل الى قول يرضينا فى تحديد الفرق بين النبى والرسول .

وأما فى وجه الاشتراك بين النبى والرسول فقد اتفقوا على كون كل منهما انسانا أوحى الله اليه . وذلك ما دل عليه قوله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) (٤)

وخلاصة القول أننا توصلنا فى بحثنا هذا الى أمور تالية :

(١) أنه ليس هناك تباين بين النبى والرسول . وهذا ما دل عليه قوله تعالى (وكان رسولا نبيا) (٥)

(٢) ان كل ما قيل بعد ذلك من أنهما متساويان أو بينهما عموم وخصوص مطلق أو عموم

---

(١) موارد الظمآن ، ص ٥٠٨ (٢) المستدرك ، جـ ٢ ص ٥٩٧

(٣) مسند الامام أحمد ، جـ ٥ ص ٢٦٦ (٤) النساء : ١٦٣

(٥) مريم : ٥١

وخصوص من وجه لم يقم عليه دليل قاطع • بل كله ظنون •

(٣) اما الحديث السابق الذى بين عدد الأنبياء والرسل والذى جعل الرسل من الأنبياء فقد روى من طرق عدة ، ولكن بعض المحدثين طعن فى سنده ، وأجاب بعضهم أنه صح بالمتابعة • فاذا ما صح هذا الحديث فان النبى أعم من الرسول ، لأنه أكثر عددا من الرسول ولأن لفظ الحديث يدل على كون الرسل من الأنبياء • ولكن رغم هذا فما قيل من أوجه الخلاف بين النبى والرسول وفى تعليل أعمية النبى من الرسول انما هو أقوال لا تستند الى دليل قطعى •

والنتيجة الاخيرة انه لا تباين بين النبى والرسول قطعا ثم اذا صح الحديث الذى أشرنا اليه يكون بين النبى والرسول عموم وخصوص مطلق والنبى أعم • ولكن الأقوال فى تحديد الفرق بينهما ظنية لا تستند الى دليل قطعى •

جـ ـ امكان بعثة الأنبياء والرسل

الاسلام دين سماوى أنزله الله تعالى على نبيه عن طريق الوحى • وبعثة الانبياء والوحى دعامتان يرتكز عليهما هذا الدين • فلا مفر لمن يدعى انه مسلم من أن يؤمن بامكان النبوة والوحى ووقوعهما • ومن هاجمهما وأنكرهما فقد هاجم الاسلام وأنكره من أساسه •

ولذلك لم نجد بين المسلمين من أنكر النبوة والوحى بل اتفقوا جميعا على امكان النبوة ووقوعها كما أتفقوا على امكان الوحى ووقوعه •

ولم يكن اختلافهم فى النبوة الا فى كونها جائزة او واجبة • وكلاهما داخل

فهي نطاق الامكان العام.

قالت الفلاسفة والمعتزلة : ان النبوة واجبة. وكذلك الشيعـــــة الاثنا عشرية (١).

واختلفوا في تعليل قولهم : أما الفلاسفة فيقولون : ان النبوة واجبـة لأنها ضرورة من ضروريات وجود نظام الخير بين البشر وبقاء النوع البشري فالانسان مدني بالطبع ويحتاج الى وجود التعاون بينهم من أجل حياته وبقائـه في هذه الدنيا ، ولابد من وجود الشرع والعدل من أجل تنظيمه وجعلـه نافعا للبشر . والشرع والعدل لابد لهما من انسان مشرع ومعدل له خصائص تمكنه على مخاطبة الناس والزامهم الشرع ، وذلك هو النبي . لأنه لا يجـوز أن يتركوا وآراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلا وما عليه ظلمـا فالحاجة الى هذا الانسان النبي في أن يبقى النوع البشري أشد مـــن الحاجة الى انبات الشعر على الحاجبين وغيره من المنافع التي لا ضـــرورة لهـــا في بقاء النوع البشري . واذا كان الخالق جل وعلا لم يهمل ايجـاد أشياء مفيدة للبشر أقل شأنا فهو أجدر من أن لا يهمل بعثة الأنبيـــاء فلا يجوز أن تكون العناية الآلهية تقتضي تلك المنافع ولا تقتضي هـــذه المنفعة العظيمة التي هي بعثة الأنبياء (٢).

---

(١) كشف المراد في تجريد الاعتقاد ، لابن المطهر الحلي ، مطبعـة المصطفوي ، قم ، ص ٢٧٣ — وأيضا : عقائد الامامية ، لمحمد رضا المظفر ، مطبعة النعمان ، النجف ، ص ٤٨ ، ٥١

(٢) النجاة ، لابن سينا ، نشر : محيي الدين صبري الكردي ، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م ، ط ثانية ، ص ٣٠٣ — ٣٠٤

وتقول المعتزلة في تعليل قولهم وتبعتهم الشيعة : "ان التكاليف السمعية ألطاف في التكاليف العقلية من الله تعالى على البشر ، واللطف واجب فالتكليف السمعي واجب . ولا يمكن معرفته الا من جهة النبي فيكون وجود النبي واجبا لأن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . واستدلوا على كون التكليف السمعي لطفا في التكليف العقلي بأن الانسان اذا كان مواظبا على فعل الواجبات السمعية وترك المناهي الشرعية كان من فعل الواجبات العقلية والانتهاء عن المناهي العقلية أقرب . وهذا معلوم بالضرورة لكل عاقل" (١) واللطف عندهم هو ما يكون المكلف معه أقرب الى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية . وقالوا : ان اللطف واجب عليه تعالى . وذلك أن المكلف لا يمكن أن يطيع الله في تكاليفه الا باللطف . فلو كلفه من دونه كان ناقضا لغرضه . فوجب اللطف عليه تعالى لأنه يحصل به غرض التكليف ، وهو طاعة المكلف لله تعالى في تكاليفه . (٢)

ولم تكن المعتزلة متفقة على وتيرة واحدة في هذا القول .

فمنهم من قال : انها واجبة مطلقا .

ومنهم من قال : اذا علم الله من أمة النبي أنهم يؤمنون وجب ارساله اليهم ، والا بأن علم أنهم لا يؤمنون لم يجب الارسال بل حسن قطعا لأعذارهم . (٣)

وقال جمهور المسلمين : ان بعثة الانبياء جائزة ولا تجب على الله تعالى .

---

(١) كشف المراد ، لابن المطهر الحلي ، ص ٢٧٣

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤

(٣) المواقف للايجي وشرحه للجرجاني ، جـ ٣ ص ١٨٢ .

وهذا هو المذهب الحق . وذلك لأن الله ارادة مطلقة يفعل ما يشاء ويختص برحمته من يشاء . ولا أحد يجبره على فعل أى شئ . فلو قلنا ان البعثة واجبة عليه فقد جعلنا لارادته حدودا معينة لا تتعداها وهذا مناقض لما قررناه من مطلق ارادته تعالى .

قال تعالى : (ان ربك فعال لما يريد) (١) . وقال : (ان الله يفعل ما يريد) (٢) . وقال : (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) (٣)

وخلاصة القول ان وجوب البعثة او وجوب أى شئ عليه يسلب اختياره وارادته .

أما ما ذكره الفلاسفة من أن التعاون بين البشر أمر لازم من أجل بقاء النوع البشرى فنحن لا ننكره ، على أننا لا نسلم ان بقاء البشر وخيره يتوقف على ما زعموا من التعاون الى آخر ما قالوا بل نعتقد أن ذلك حكمة من حكم بعثته الأنبياء وليس غرضا موجبا لبعثتهم ولا نسلم ان ذلك يوجب على الله البعثة بل ما زالت البعثة جائزة لأن الله فى قدرته أن يبعث وأن لا يبعث نعم لو كان فى ترك البعثة فوات الحكمة ولزوم العبث فنتيجة ذلك انما هو تنزه الله تعالى وتعاليه عن أن يترك البعثة لا أن تجب عليه البعثة . وفرق كبير بين تنزهه عن ترك البعثة ووجوبها عليه تعالى . الا ترى قوله تعالى :

---

(١) هود : ١٠٧

(٢) الحج : ١٤

(٣) ابراهيم : ١١

(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم)[(١)] ففى هذه الآية سفه الله تعالى من يحسب انه لا رجعة ولاحياة للبشر بعد حياته الأولى فى هذه الدنيا فان ذلك عبث قضى الله تعالى بأنه يتنزه عنه قال : (فتعالى الله الملك الحق) ، لا أنه يجب عليه ترك العبث كما زعموا • فكذلك هنا ترك البعثة اذا كان عبثا فاللازم حينئذ ليس وجوب البعثة بل تنزهه عن ترك البعثة والفرق بين الأمرين ظاهر•

كما نعتقد ان فى قدرة الله تعالى أن يجعل بقاء النوع البشرى وخيره ، وانتظامه بأمر آخر غير بعثة الأنبياء• قال تعالى (ان الله على كل شىء قدير)[(٢)] وقال (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير)[(٣)] •

وأما ما قالته المعتزلة من وجوب اللطف عليه تعالى كما سبق فنحن لا نسلم به بل الحق عندنا عدم وجوبه عليه تعالى ولكنه جائز له فيجوز أن يمنع لطفه لمن يشاء من عباده ويحرمه عمن يشاء• قال (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[(٤)] واذا كان اللطف غير واجب فالبعثة غير واجبة• لأن وجوب البعثة مبنية ـ عندهم ـ على وجوب اللطف كما تقدم•

ولأن الوجوب بأى معنى مستحيل على الله تعالى فقد تحيرت المعتزلة فى معنى الوجوب فقال متقدموهم ان معنى وجوب شىء على الله تعالى

---

(١) المؤمنون : ١١٥ ـ ١١٦
(٢) البقرة : ٢٠
(٣) الشورى : ٢٩
(٤) البقرة : ١٠٥

لزوم ذلك الشيء بحيث لا يتمكن من الترك لاستلزام الترك محالا كسفه أو جهل .

وقد رد عليهم أهل السنة بأن هذا الوجوب بهذا المعنى يسلب الاختيار من الله تعالى كما سبق . وسلب الاختيار من الله تعالى باطل باجماع منا ومنهم . ومن ثم عدل متأخر والمعتزلة فى تفسير الوجوب الى معنى آخر ، وقالوا ان وجوب شيء على الله تعالى أن يفعله البتة ولا يتركه أبدا وان كان الترك جائزا ، فرارا من سلب الاختيار من الله تعالى .

ورد عليهم أهل السنة بأن هذا المعنى للوجوب لا يحمل فى معنى الوجوب شيئا بل مآله ان الله تعالى جرت عادته ان لا يترك ذلك الواجب وان كان الترك جائزا . فهو واجب عادى جرت عادة الله بفعله . اذن — يقول أهل السنة لهم — من أين لكم ان الله جرت عادته ان يبعث الرسل لطفا بعباده وان هذه العادة ستستمر فى المستقبل ؟ مع أنه قد ثبت قطعا ان هذه العادة لن تستمر بعد بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

فالوجوب بالمعنى الثانى أيضا باطل .

أقوال المنكرين للبعثة :

١ — وأما المنكرون للبعثة فمنهم من قال ان البعثة مستحيلة . ومن شبههم : ان المبعوث لابد أن يعلم ان الذى قال له : أرسلتك فبلغ عنى هو الله ، ولا سبيل الى معرفة ذلك لجواز أن يكون القائل جنيا او شيطانا .

كما أن التصديق بالبعثة يتوقف على العلم بوجود الله المرسل للأنبياء وصفاته ، والعلم بما ذكر لا يحصل الا بالنظر العميق ، وهذا النظر

يحتاج الى زمان غير مقدر معين . واذا وجب على المكلف أن يصدق قبل ذلك فهو تكليف بما لا يطاق وهو قبيح عقلا . واذا جاز أن يستمهل فيجوز أن يدعى المكلف عدم العلم وحينئذ تكون البعثة عبثا . فيلزم من البعثة أحد أمرين القبح أو العبث من قبل الله تعالى المرسل ، وهو مستحيل عليه تعالى .

والشبهة الأولى يمكن أن نرد عليها بأن فى قدرة الله تعالى اذا قرر ان يرسل رسوله الى قوم ان ينصب دليلا يعرف به أنه رسول الله اليهم ، وان الذى قال له : أرسلتك ، هو الله وليس جنيا او شيطانا . كما ان فى قدرة الله تعالى ان يخلق علما ضروريا فى نفس الرسول ان الله أرسله الى قومه .

وأما الشبهة الثانية فنقول فى جوابها ان الرسول اذا جاء قوما بالرسالة وأتى بالمعجزة والمبعوث اليهم عاقلون متمكنون من النظر فقد وجب عليهم متابعته وتصديقه . ولو طلبوا من الرسول ان يمهل فلا يجب عليه الامهال . وذلك لأن العلم بصدقه حاصل بعد صدور المعجزة منه فلا مجال للانكار او الامهال .

٢ — ومنهم من قال : ان البعثة ممتنعة لأن التكليف الذى هو لازم البعثة وفائدتها ممتنع لوجوه :

أولا — ان فعل العبد واقع بقدرة الله ولا قدرة له عندكم : فتكليف العبد معناه تكليفه بفعل الغير . وهذا تكليف بما لا يطاق . وهو باطل .

ثانيا — التكليف اضرار بالعبد ، لأن فى الامتثال بالفعل تعبا ومشقة

على العبد ، وفي عدم الامتثال وتركه عذاب عليه ، فاذن التكليف قبيح والقبح محال على الله تعالى ، فيكون التكليف ممتنعا .

ثالثا ــ ان التكليف بالافعال البدنية الشاقة يشغل الباطن عن التفكير في معرفة الله وصفاته وأفعاله وان المصلحة المتوقعة من النظر فيما ذكر أكبر وأعظم من المصلحة المتوقعة من الأفعال البدنية المكلفة فيمتنع عقلا التكليف لأنه يؤدى الى تفويت المنافع والمصالح الاكبر والأعظم ، وذلك قبح ، والقبح تنزه الله تعالى عنه .

والجواب عن هذه الشبه :

أولا ــ ان الضرورة والاحساس قاما على ان للعبد ارادة يختار بها وقدرة يحصل بها الفعل ، بدون ذلك لا يحصل الفعل . ومادام صدور الفعل يتوقف على ارادة العبد وقدرته كان مختارا ، وصح التكليف .

ثانيا ــ ان المصالح الدنيوية والأخروية في التكليف أكثر وأعظم كثيرا من المضرة التي هي فيه . ولا يجوز ان يترك الخير الكثير من أجل اجتناب الشر القليل .

ثالثا ــ ان التفكير في معرفة الله وصفاته وأفعاله ــ لاشك ــ من أغراض التكليف . وسائر التكاليف معينة عليه وداعية اليه ووسيلة الى صلاح المعاش المعين على صفاء الأوقات عن الأشياء التي تشوش الفكر والقلب فلا يكون التكاليف بالأفعال البدنية ــ اذن ــ قبحا على الله تعالى .

٣ــ ومن المنكرين من قال : البعثة لا فائدة فيها . لأن العقل يكفينا في معرفة التكليف ، فما حكم العقل بحسنه من الأفعال نفعل ، وما حكم بقبحه نترك . وما لم يحكم العقل بحسنه ولا بقبحه نفعل عند الحاجة اليه ،

لأن الحاجة الحاضرة يجب اعتبارها دفعا لمضرة فواتها اذا تـــرك الفعل ، ولاعبرة باحتمال المضرة اذا فعل بتقدير قبحـه ، ونترك عنـد عدم الحاجـة للاحتياط فى دفع المضرة المتوهمـة .

وهذه الشبهة يمكن أن يجاب عنها بأن الشرع المستفاد من البعثـة فائدته تفصيل ما أعطاه العقل اجمالا ، وكذا بيان مالا يستطيع العقـل ان يصل اليه ، فليس فى قدرة العقل ان يحل جميع الأمور ويصـل اليها ، وذلك أمر لا ينكره أحـد .

والنبى مثل الطبيب ، فالطبيب الحاذق يعرف الأدوية وخواصهـا ولا يمكن لغيره من العوام فى علم الطب ان يستغنى عنه مع ان علم الطـب يمكن ان يتعلم ويتوصل اليه بالتجارب والتحصيل . وذلك لأن فـى الاستغناء عن الطبيب وايجاب جميع العوام الوصول الى علم الطـب بأنفسهم تعطيلا للمصالح الكثيرة واتعابا للنفس .

واذا كان هذا حال الطبيب ، فليس النبى أقل شأنا منه ، فلا يقـال أن امكان معرفة التكاليف واحوال الأفعال بالعقل يؤدى الى الاستغنـاء عن النبى مع ان علم النبى لا يمكن ان يعرف الا من قبل الله تعالـى بخلاف علم الطبيب (1) .

بل قد جاء النبى بأمور لا يمكن التوصل اليها بالعقل كالعبادات وشروطها وأوقاتها وأعدادها . فما هية الصلاة وأعداد ركعاتها وما هية الصـوم ووقته وحرمة صيام العيدين ووجوبه فى رمضان والعقائد السمعية كالصـراط

---

(1) المواقف وشرحـه ، ج ٣ ص ١٨٢ وما بعدها .

والميزان والجنة والنار كل هذه الأمور لا يمكن للعقل البشرى أن يصل اليها بل يتحتم احتياجه الى الشرع • فالقول بعدم الاحتياج الى النبى باطل لا يستند الى دليل صحيح •

والخلاصة :

(١) أن البعثة ممكنة عقلا عند جميع المسلمين

(٢) أن البعثة واجبة عند المعتزلة لأنها من الألطاف الواجبة على الله تعالى •

(٣) أن البعثة واجبة عند الفلاسفة لأنها دعامة نظام الكون وخيره •

(٤) ان البعثة جائزة لله عند جمهور المسلمين ، لأن الله يفعل ما يشاء ويختص برحمته من يشاء • وهذا هو المذهب الحق •

(٥) ان المنكرين للبعثة لم يتمسكوا فى انكارهم الا بحجج واهية •

د ـ الوحى وامكانه :

الوحى أساس النبوة بل هى فى حقيقتها نزول الوحى من الله تعالى الى النبى ولا فرق فى النتيجة بين انكار الوحى وانكار النبوة فانكار كل منهما يؤدى الى الخروج عن الاسلام• ولم يرد خلاف بين المسلمين فى امكان الوحى ونزوله على الأنبياء •

والوحى لغة اعلام فى خفاء ، سواء كان بالاشارة او الالهام أو غيرهما[1] ومنه قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه)[2] وقوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)[3] ويطلق أيضا على الكلام الخفى وكل ما ألقى الى الغير من الكلام[4]•

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، جـ ١٥ ص ٣٨١ • مادة : وحى • وأيضا : تاج العروس للزبيدى ، جـ ١٠ ص ٣٨٥ • مادة وحى • وأيضا : أساس البلاغة للزمخشرى ، ص ٦٦٨ •

(٢) القصص : ٧ (٣) النحل : ٦٨

(٤) لسان العرب ، جـ ١٥ ص ٣٧٩ • مادة : وحى •

وأما شرعا فقد قال جمهور العلماء هو اعلام الله تعالى نبيا من أنبيائه حكما شرعيا أو نحوه .

ومعنى اعلام الله أى أخباره سواء كان منه تعالى مباشرة كما فى فرض الصلاة [١] أو بواسطة الملك كما فى خطاب الله تعالى على لسان جبريل : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) [٢] . والمراد بالحكم الشرعى الأحكام الأصلية وهى العقائد مثل (والله بكل شيئ عليم) [٣] والأحكام الفرعية وهى العمليات مثل (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) [٤] . ونحوه أى ونحو الشرع مثل قصص الأنبياء وغيرهم .

ويلاحظ فى المعنى الشرعى للوحى قيدان : أن يكون من عند الله وأن يكون لنبى من أنبيائه . وهذان القيدان للوحى الشرعى لا أعلم فى ذلك خلافا بين العلماء .

وللوحى مطلقا أنواع وقد بينها الله تعالى فى قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم) [٥] . وهذه الآية تبين لنا أن للوحى ثلاث صور :

(١) أن يكون بالوحى بالمعنى الخاص وهو القائه فى قلب العبد . أما فى اليقظة كما فى قصة أم موسى حينما أمر الله تعالى بالقاء موسى فى النيل . قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) [٦] . وأما

---

(١) راجع : صحيح البخارى ، ج ٥ ، ص ٦٨ . باب المعراج .
(٢) العلق : ١ ـ ٢ (٣) البقرة : ٢٨٢
(٤) البقرة : ٤٣ (٥) الشورى : ٥١ (٦) القصص: ٧

فى المنام كما فى قصة ابراهيم عليه السلام حينما أمره ربه بذبح ابنه اسماعيل عليه السلام قال تعالى (فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى انشاء الله من الصابرين) (١) .

(٢) ان يكلمه مباشرة من وراء حجاب . وذلك مثل ما حدث لموسى عليه السلام حيث كلمه الله بالوادى المقدس طوى . قال تعالى (وهل أتاك حديث موسى . اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى يا موسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) (٢) .

(٣) ان يرسل الله اليه ملكا يظهر له ويكلمه بكلام واضح . وهذا أكثر كلام الله لأنبياءه .

وقد حدث لابراهيم عليه السلام ذلك حيث أرسل الله ملائكته يبشرونه بأن الله سيمنحه ولدا من زوجته . قال تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال أنا منكم وجلون . قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) (٣) .

---

(١) الصافات : ١٠١ — ١٠٢

(٢) طه : ٩ — ١٤

(٣) الحجر : ٥١ — ٥٥

هذا . وليس الوحى من الأمور المستحيلة عقلا . فهو من قبل الله تعالى . والله عز وجل قادر على كل شئ . وهو الذى منح عباده العقل للتفكير والنظر فى المشكلات وأعطاهم علوما ينتفعون بها لمعاشهم ومعادهم وهو الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما . فالذى يقدر على ذلك لايستحيل عليه ان ينزل وحيه على عبد من عباده .

فالوحى بجميع صوره المذكورة ليس من قبيل المستحيلات بل من الأمور الجائزة عقلا . بل قد وقع فعلا ووقعت بعثة الأنبياء . وصدرت المعجزات منهم . وذلك بالتواتر الذى لايدانيه أى شك ولا يدخل فيه أى ريبة . فهذا موسى ومعجزاته وهذا عيسى ومعجزاته وذلك محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزاته .

فكيف بعد ذلك يرتاب فى امكان الوحى وقد وقع بالفعل .

الفصل الثانى

حاجة البشر الى الرسالة

أ ـ المسلك الأول

ب ـ المسلك الثانى

جـ ـ المسلك الثالث

الفصـل الثانـــى

حاجــة البشــر الى الرسالـــة

الانسان مخلوق عجيب فهو من أضعف مخلوقات اللـه تعالى جسديـــا كما قال فى كتابه (وخلق الانسان ضعيفا)(١) • الا أن الله أودع فيه طاقـــات عظيمة ومواهب فذة امتاز بها عن سائر المخلوقات وجعله بها أقوى من أكثرهـــا • وهذه الطاقات والمواهب لا تتجـه دائما نحو الحق والخير • نجد بين النــاس من يبذل جميع طاقاته ومواهبه فى اسعاد الاخرين والعمل من أجل خير أمتـــه ولا يسمح لنفسه ان يؤذى غيره • وجدنا مثلا فى عصر الجاهلية حاتم الطائـــى اشتهر بالجود والكرم ومساعدة الناس حتى قال بعضهم فيه :

لو لم يكن فى كفه غير روحــه * لجاد بها فليتق الله سائلـــه

كما نجد بينهم من سولت له نفسه أن يعيش على نهب أموال الناس وقتلهم • ولقد حـــدث القرآن ببلاغته عن هذا الصنف من الناس • قال تعالى (مناع للخير معتد أثيم)(٢) •

ومن هذه الطاقات والمواهب العقل • فقد منح الله الانسان عقلا يفكر بـــه فى نفسه وفى مخلوقاته تعالى لكى يصل الى ما هو خير ونافع له • وبه يعـــرف الانسان ما يريد ان يعرف قال تعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون)(٣) • وجعل اللـــه عقول الناس متفاوتة • أناس وهبهم الله عقولا ممتازة يستطيعون بها ان يخترعـــوا آلات عديدة تنفع الناس فى حياتهم الدنيوية •

---

(١) النساء : ٢٨
(٢) القلم : ١٢
(٣) النحل : ٧٨

كما ان بعضهم يسخرون عقولهم لاكتشاف الات مدمرة لا ترجع الى الانسانية الا بالخراب والدمار وأناس وهبهم الله عقولا يستطيعون بها ان يعرفوا طرائق حياتهم اليومية المادية ولكنهم يعجزوا عن ان يستعملوا عقولهم لمعرفة ما وراء ذلك • كما أن هناك أناسا أقل شأنا فعقولهم بلغت فى تدنى قوتها الى حد أنهم يعتمدون على ارشاد غيرهم فى جميع أمورهم •

ولكن الانسان مهما بلغ عقله من النبوغ ومهما كثر علمه واتسعت دائرة معرفته فانه لا يزال يجهل الكثير من أمور نفسه وأمور الكون • قال تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)(1) فعلم الطب قد بلغ من التقدم مبلغا لم يحلم به الأطباء الأقدمون ، ومع ذلك لا تزال توجد أمراض لم يكتشف علماء الطب دواءها ، كما ان سر الحياة والموت لا يزال مغلقا عليهم • وعلم الفلك قد تقدم كثيرا وخطا خطوات بعيدة الى الأمام ومع ذلك لا يزال الفلكيون يجهلون حقائق بعض الأجرام السماوية بل لم يكتشفوا وجودها الاقبل أمد قريب• ورغم هذا فقد أخذ بعض الناس الغرور وزعموا أن بامكانهم أن يضعوا نظاما لتنظيم حياتهم وعلاقاتهم فيما بينهم على مستوى القبيلة والشعوب • ولكن ماذا حل بالانسانية ؟ حلت منازعات فيما بينهم وحروب دمرت بلادا و أودت بموت ملايين من الناس وتناقضات فى المجتمع أدت الى صراع مستمر لا ينقضى • وأكبر شاهد على ذلك ما نراه فى العصور المتأخرة فقد وضعت لها قوانين واعتقدت توفر عناصر السعادة للبشر والطمأنينة للانسان ولكن سرعان ما تبددت هذه الآمال فها هى الحرب العالمية الأولى والثانية دارت بين الأمم التى زعمت أنها أرقى الأمم بما وضعته من القوانين والتقاليد •

---

(1) الاسراء : ٨٥

ذلك هو قصور الانسان وجهلـه وعتـوه وطغيانه وغرائزه البهيمية • وتلك هى طبيعة الانسان ومدى ادراك عقله وسعة معرفته • ومنها تنبع حاجة البشـر الى الرسل الذين أرسلهم الله تعالى ليهدوهم الى سواء السبيل لكـى لا تتجاذبهم نوازعهم بين الخير والشر فيتحيرون ولايدرون ماذا يفعلـون والى أين يسيرون فيدمرون أنفسهم •

وهناك مسالك لبيان حاجة البشر الى الرسالـة يأتى بيانها ان شـاء اللـه تعالى •

أ ــ المسلـك الأول

أتفق الناس ــ اللهم الا القليل منهم ــ على أن لنفس الانسان خلودا تحيا به بعد مفارقتها للأبدان • وهذا الاتفاق يكاد أن يكون شاملا لجميعهم مـع اختلاف نوازعهم الفكرية وظروفهم الجغرافيـة والاجتماعيـة والعصور التى مـرت بهم • وكان تصورهم لخلود النفس مختلفا على حسب الأفكار والمعتقدات التـى تسودهم •

فقد كان المصريون القدماء يتصورون أن الميت فى قبره يأكل ويشرب ويحيـى حياة خالدة • كانوا يعتقدون أنهم سيحيـون بعد مماتهم ، وبالضرورة يحتاجـون فى حياتهم الثانية كما فى الحياة الأولـى الى طعام وشراب • (١)

وكان الصينيون من أتباع كونفـوشيوس (٥٥١ ــ ٤٧٩ ق م •) يـرون ان الروح تنفصل عن البدن بعد الموت وتبقى فى الدنيا مع أسرته • لذا كانـوا

---

(١) قصة الديانات ، لسليمان مظهر ، الوطن العربى ، ص ٢١ •

يقدمون القرابين لأرواح آباءهم ويقدسونها (١) .

وكان السومريون سكان أرض العراق قبل حوالى ثلاثين قرنا يعتقدون أن الانسان يحيا بعد مماته حياة أخرى مثل هذه الحياة الدنيا وسوف يضطر فى رحلته الى ذلك العالم الآخر الى استخدام مركب مزود بأنواع من المآكل والمشارب . ولذلك كانوا يحرصون على تزويد الميت بحوائجه الشخصية وبقارب صغير مملوء بأوانى مختلفة الأحجام تحوى أنواعا كثيرة من الأطعمة والاشربة (٢) .

وأما الهندوس أتباع الديانة البرهمية المنتشرة فى أرض الهند منذ قرون قبل ميلاد المسيح عليه السلام الى الوقت الحاضر فيعتقدون ان الانسان اذا وصل درجة الكمال بأن لم يكن له شهوة ولا عليه ديون ولم يرتكب اثما ولم يعمل عملا سيئا فسترتفع روحه وتتخلص من تكرار المولد وتمتزج بالبرهما الذى هو الاله الخالق للعالم . أما اذا لم يصل الى تلك الدرجة فسيبلى جسد الانسان المادى بعد موته وستبقى الروح التى هى الجسد اللطيف وتعود مرة أخرى الى هذه الدنيا متقمصة جسدا جديدا وتبدأ بذلك دورة جديدة لهذه الروح وتكون هذه الدورة نتيجة للدورة الماضية ، فتوجد الروح فى انسان أو حصان أو ثعبان او غير ذلك ويسعد أو يشقى نتيجة لما قدمه من الاعمال فى حياته السابقة وهذه العقيدة تسمى بعقيدة التناسخ (٣) .

---

(١) محاضرات فى مقارنات الاديان ، لمحمد أبو زهرة ، القسم الاول . مطبعة يوسف القاهرة ص ٩٠ — (٢) قصة الديانات لسليمان مظهر : ص ٤٠

(٣) مقارنة الاديان لاحمد شلبى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٢م ط ثالثة ج ٤ ص ٦٣

والبوذيون أتباع بوذا (٥٦٤ — ٤٨٣ ق.م.) المنتشرون في الهند والهند الصينية يقولون بالتناسخ أيضا الا أنهم لا يعترفون بانطلاق الروح وامتزاجها بالبرهما بعد ان وصلت الى درجة الكمال بل قالوا بأن الروح بعد وصولها الى تلك الدرجة ستصل الى النرفانا كما وصل اليها بوذا . والنرفانا هي أقصى الدرجات التي يمكن أن يصل اليها الانسان في الرقي الروحي (١).

وهكذا وجدنا ان الناس مع اختلافهم في جميع الأمور المتقدمة من النوازع الفكرية والظروف والعصور وعدم اتفاقهم في تصورهم لخلود الروح وما سيكون عليه الانسان بعد موته اتفقوا على أن للروح حياة أخرى بعد الموت .

وهذا الاتفاق لا يجوز أن يكون مجرد صدفة أو نزعة وهمية أو زلة فكرية بل لابد أن يكون من الالهامات التي اختص بها النوع الانساني . فكما أن الانسان ألهم بأن العقل والفكر هما أهم ما عتمد عليه من أجل البقاء في هذه الحياة الدنيا ولم يقدح على صحة ذلك كون قلة من الناس شذت وانكرته وقالت بأن العقل والفكر لا يكفيان للارشاد في عمل ما أو أنه لا يمكن للعقل أن يصل الى اليقين ولا للفكر أن يصل الى مجهول ، بل قالت أن العالم مجرد خيال وان وجود هؤلاء ايضا مجرد خيال . وهذه الفئة هي السوفسطائيون . كذلك لم يقدح على صحة الالهام العام بأن هذه الحياة الدنيا ليست هي منتهى ما للانسان من وجود ، بل هناك طور آخر بعدها وان لم يعرف

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥٧ — ١٥٩

كنهـه كون بعض الناس أنكره وقال بأن الانسان يبلى بفساد جسده وليست له روح ولاحياة بعد هذه الحياة الدنيا .

وهذا الالهام لجلى جدافى شعور الانسان يشعر به كل انسان سليم التفكير والفطرة ويكاد يزاحم البديهة وهذا الشعور أهاج الانسان الى تحسس بقاء روحه وما عسى ان تكون عليه متى وصلت اليه ، وكيف تستطيع ان تهتدى فيه وتسلك طريق الصواب. ان الدليل للمطلوب لغائب تماما .

ولما كان استعمال عقولنا لاكتشاف طريق الصواب فى تقويم هذه المعيشة القصيرة المدة لم يكفنا فى الاستقامة على النهج الصحيح المستقيم ، بل لا تزال الحاجة تلجئنا الى التعليم والارشاد من الغير وقضاء أزمنة غير قصيرة من أجل تقويم الآراء وتصحيح الافكار واصلاح الوجدان ، ومع ذلك لم نصل بعد الى استقرار فى هذه الحياة الدنيا بل لا تزال أمورها فى اضطراب لا ندرى متى نستطيع التخلص منه، ولا نزال نشتاق الى طمأنينة لا نعرف متى نصل اليها .

اذا كان هذا شأننا فى هذا العالم المشهود فماذا نستطيع ان نجنى من الاعتماد على عقولنا وافكارنا لمعرفة ما يجرى فى عالم الغيب ؟ !

ليس فى هذا العالم المشهود معالم نستطيع ان ننفذ بها الى معرفة تفاصيل ما قدر لنا فى حياة نشعر بها وان لا مفر لنا من الوصول اليها ومعرفة من بيده تصريف تلك الأمور . ولم يكن فى أساليب الفكر ما يوصلنا الى علم ما نستطيع ان نعتمد عليه من الاعتقادات والاعمال كى يوصلنا الى السعادة والنجاة فى ذلك العالم المجهول .

ان الصلة بين العالمين — عالم الشهادة وعالم الغيب — تكاد تكون مقطوعة . والنظر فى المعلومات الحاضرة لم يعطنا حقائق يقينية لما يقدر لنا فى العالم المستقبل . بل لا تزال بعض الأمور فى عالم الشهادة غامضة ومجهولة لنا . قال تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير)(١) وقال تعالى (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)(٢) .

اذن فمن حكمة الخالق المبدع الحكيم أن يختار بمحض فضله من يميزهم بالفطرة السليمة ويبلغهم الى درجة الكمال التى يمكنهم للاستشراق بأنوار علمه والاطلاع على مكنون سره . فيعلمون من عالم الغيب باذنه ويعرفون ما سيجرى على الناس فيه . فهم فى عالم الشهادة كأنهم ليسوا من أهله وهم مطلعون على عالم الغيب وليسوا من سكانه .

ثم يأمرهم ان يحدثوا الناس مما خص على العقول ما شاء ان يعتقده العباد فيه وما قدره ان يكون مدخلا لسعادتهم الاخروية وما لا بد لهم من علمه من أحوال اليوم الآخر يستعملون فى ذلك عبارة تحتملها طاقة عقولهم وتتناولها مدارك أفهامهم .

كما يأمرهم ان يبلغوا عنه شرائع تنظم أمور الناس وتقوم نفوسهم وتكبح شهواتهم

---

(١) لقمان : ٣٤
(٢) الاسراء : ٨٥

وتعلمهم أعمالا تكون مناطا لسعادتهم وشقائهم فى الحياة الأخرى ثـــم يؤيدهم بما لا تبلغه طاقات البشر من الايات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلا من لدنه مبشرين ومنذرين •

ان الله المبدع الحكيم قد منح كل حى بما يحتاج اليه لبقاء حياتـــه ولم يحرم أى حقـــير من رحمتـــه ، فهو قد أعطى النحل مع صغر حجمـــه ميزة يستطيع بها ان تنتظم حياته النوعية ، ومنح السمك أداة تنفس يمكنهـــا من العيش فى ظلمات البحار ، ووهب الانسان عقلا يقدر به ان يغلب علـــى أعدائه من الحيوانات المفترسة ومظاهر الطبيعة المدمرة ، وجعل لكل حيـــوان عضوا يتمكن به ان يكسب عيشه ويطلب رزقه ، قال تعالى (وما من دابـــة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)(١) وقال تعالـــى : (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هـــدى)(٢)

فلاشك ان من رحمتـــه وحكمته بهذا النوع الانسانى بعد أن أعطاه ما يحتـــاج اليه لبقاء حياته وسط المخلوقات المعاديـــة له ان ينجيـــه من حيرته وينقـــذه من ضلالـــه فى تلك الحياة الاخـــرة التى هى أهم حياتيه وأبقاها • وذلك يتـــم بارسال الرســـل المذكورين •

ولم يشأ ان يجعل فى الغرائز ما يحتاجـــه الانسان من العلم والانقيـــاد الى العمل وسلوك السبيل المستقيم المؤدى الى السعادة الأبدية فى الآخـــرة

---

(١) هـــود : ٦
(٢) طـــه : ٥٠

ذلك لأن العقل والفكر هما داخلان فى جوهر النوع الانسانى • فيقتضى وجود الاستعداد للاختلاف والتفاوت بين كل فرد من افراده فيما يتقبله على حسب ما أدى اليه عقله وفكره • فاذا ألهم الانسان حاجاته كما ألهمت النحل والنمل مثلا خرج عن كونه انسانا •

هذا وقد ذكر الشيخ محمد عبده هذا المسلك فى كتابه رسالة التوحيد (١) • واعترض عليه بعض الكتاب بأن أمر خلود النفس والحياة الأخرى ليسا من البديهيات التى يشعر بها جميع الناس ويتفقون عليها • فلا يمكن ان يكون مسلكا صحيحا نافعا لكونه مبنيا على أساس غير متفق عليه (٢) •

وفى رأيى أن كون خلود النفس والحياة الأخرى بعد الحياة الدنيا غير متفق عليهما لا يمنع صحة ذكر المسلك ونفعه • وذلك لأمور :

أولا : لأن المنكرين لهما قلة من الناس وليسوا أكثرهم • والغرض من ذكر المسلك ليس اقناع جميع الناس بل اقناع من يريد ان يقتنع • فما دام المسلك مبنيا على اساس صحيح عند اكثر الناس فقد خدم هذا الغرض•

ثانيا : ليس جميع القضايا الصحيحة مقبولا عند جميع الناس • وكون بعض الناس رفض قضيه صحيحة لا يجعلها خارجة عن دائرة الصحة • فالايمان بالله قضية صحيحة لاشك فى ذلك• ومع ذلك قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين) (٣) وقال تعالى (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) (٤)

---

(١) رسالة التوحيد مكتبة الجامعة الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥ م ص ٤٧ — ٥٠

(٢) أصول الدين الاسلامى ، لمحمد على ناصر ، المكتبة المصرية ، صيدا — بيروت ، ص ١٧٠

(٣) يوسف : ١٠٣

(٤) الرعد : ١

فكذلك هنا كون بعض الناس ينكر خلود الروح ووجود حياة أخرى بعد هـذه الحياة لا يمنع صحتهما • ويكفى كونهما صحيحين — وان لم يقبل ذلك بعض الناس — لأن يصح بناء مسلك صحيح عليهما لاثبات حاجة البشر الى الرسالة •

ثالثا — قد يعتبر تصورا لو لم يذكر الا هذا المسلك فقط • أما مع ذكر مسلك آخر بجانبه فلا يمكن أن يوصف بالتقصير أو عدم الاقناع •

ب — المسلك الثانـى :

ان الانسان مدنى بالطبع • قد غرز فى طبيعته أن يعيش مجتمعا مع بنى جنسه يتعاون بعضهم بعضا • ويؤدى كل فرد من الجماعة عملا يعود نفعه الى الجميع • كما أن كل فرد منهم يحتاج الى أعمال غيره من أجل قضاء حاجته اليومية • فالنساج ينسج النسيج للناس • وهو يحتاج لعيشه الى خبز الخباز ، ويحتاج لستر عورته الى أن يخيط له الخياط اللباس ويحتاج لسكنه الى أن يبنى له البناء بيتا يسكن فيه • ولكى ينسج يحتاج الى القطن الذى زرعه المزارع • وكذلك الخباز يحتاج الى دقيق القمح ليعمل منه الخبز للناس والقمح يزرعه المزارع كما يحتاج الى البناء ليبنى له بيتا يأوى اليه • والى الخياط ليخيط له لباسا يستر به عورته • والخياط يحتاج الى خبز الخباز ونسيج النساج وبناء البناء • وكذلك البناء والمزارع شأنهما شأن غيرهما • يحتاج اليهما الغير ويحتاجان اليه • هذه صورة بسيطة حينما كان المجتمع لا تتعدى حاجته عن الاكل والشرب والسكن واللباس • ولما تطور المجتمع وكثرت مطالبه وتعقدت أموره صارت حاجة الناس الى تعاون بعضهم بعضا أشد • ولا يمكن أن نتصور انسانا يعيش فيه ويستطيع أن يوفر مطالب حياته بدون ان يحتاج الى عمل غيره • وقد حث الله تعالى على التعاون المفيد المثمر بقوله : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)[1] كما قال

---

(١) المائدة : ٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) رواه مسلم.(١)

ومن ذلك خلق الله للانسان قوة النطق ليعبر عما يختلج فى صدره ليعرفه الآخرون ويفهموه. وهذا هو وظيفتها الاساسية بها التفاهم الذى لا يكون الا بين اثنين او اكثر .

ولا يمكننا ان نتصور ان الله تعالى وهو الحكيم الخبير الذى لم يخلق شيئا عبثا يجعل للانسان لسانا مستعدا للتعبير عن المعانى التى فى صدره بالعبارات المفهمة المنمقة الا لاشتداد الحاجة الى التفاهم بين اثنين وآخر . وفى ذلك شهادة ودليل على أن الانسان مطبوع لأن يعيش مع غيره ولا يمكنه ان يعيش وحده عيشة طبيعية .

وحاجة الفرد الى غيره تتسع دائرتها على حسب كثرة مطالبه فى حياته فالفرد الذى يعيش فى المجتمع البدائى لا يحتاج فى عيشه الا الى ما يسد جوعه ويروى عطشه ويستر عورته ويشبع غريزته الجنسية ويجعله فى مأمن من الشمس والمطر والوحوش المفترسة فلم يحتج فى حياته الا الى التعاون مع جماعة صغيرة قد لا يتجاوز عددها اصابع اليد .

وعندما تكاثرت متطلبات حياة أى انسان يحتاج لسدها الى تعاون جماعة أكبر من الأسرة . وفى الحياة المصرية فى الوقت الحاضر يحتاج الانسان اذا أراد أن يسايرها الى تعاون أمة بل الى تعاون أمم العالم بأسره . فالانسان المعاصر يحتاج الى مطالعة الكتب لسد حاجته الفكرية، وقد يكون مؤلفها أو ناشرها من أمة غير أمته ومن ديانة غير ديانته .

---

(١) صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٩٧٢ م ، ط ثالثة ، ج ٤ ص ٢٠٧٤ . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

وقد يحتاج الى سيارة او قطار او باخرة او طائرة لتنقلاته الى الأماكن النائية ، وهى قد لا تنتجها مصانع بلاده بل مصانع بلاد أجنبية بعيدة . وقد تنتجها مصانع بلاده او مصنعه هو ولكنها تحتاج الى مثل البترول وهو غير متوفر فى بلاده بل لابد من استيراده من بلاد أخرى . وقد يحتاج الانسان المعاصر الى بناء سد عظيم لأجل السيطرة على السيول المدمرة ولتخزين مياه الرى من أجل زيادة انتاج الحبوب والمحصولات الزراعية . فيحتاج الى مواد بناء من الصخور والصلب وغيرهما ويحتاج الى أدوات بناء من رافعات الاثقال الآلية وغيرها . ويحتاج الى خبرة مهندسين أكفاء وألوف من العمال المتدربين . وقد لا يجد ذلك فى بلاده بل لابد من الاستعانة واللجوء الى منتجات وكفاءات بلاد أخرى .

والولايات المتحدة الامريكية تعتبر اقوى دول العالم وأرقاها تقدما فى التكنولوجيا وأغناها فى الموارد الطبيعية ومع ذلك لا تزال تحتاج الى بترول العرب . واليابان هى من أغنى دول العالم واكثرها تقدما وأرقاها صناعة ومع ذلك لا تزال مفتقرة الى البترول والاخشاب والمنتوجات الزراعية ، وتسد حاجتها اليها من دول أخرى .

انه لدليل على ان الانسان لا يمكنه ان يعيش وحده بل لابد من العيش فى جماعة متعاونة . وكذلك ان أية دولة لا يمكنها ان تعيش وحدها منعزلة عن دول اخرى اذا ارادت ان تعيش عيشة طبيعية بل لابد من التعاون مع دول أخرى . وبه يستطيع ان يستقيم عيشها فى المجتمع الدولى .

ولو طبع الله الانسان مثل غيره من الحيوانات بدون عقل ولا فكر ولا استعدادات معنوية مختلفة ومتفاوتة بل ألهمه الله الهاما فى كل ما يحتاجه وما يصلحه مثل ما الهم النحل والنمل لكانت حاجته الى غيره من أفضل العوامل لأن يحب بعضهم بعضا ويشعر بأن بقاءه مرتبط ببقاء جماعته وأن عليه أن —

يؤدى عمله بدون جدال ولا نقاش ولا نظر لكى تنتظم حياته وحياة جماعته ، ولأدت هذه المحبة الى انتظام حياة النوع الانسانى بدون شريعة منزلة من الله تعالى .

ولكن الله خلق الانسان وزوده بعقل وفكر واستعدادات مختلفة ومتفاوتة فكانت المحبة بينه وبين بنى جنسه مبنية وجارية على غير ما جرى بين الحيوانات .

ومحبة الانسان لغيره لا تدوم الا اذا كان منشأها أمرا لا يفارق ذات المحبوب اما اذا كانت مرتبطة بأمور او مصالح عارضة فتزول المحبة بزوالها وتكون العلاقة ليست علاقة محبة حقيقية بل علاقة تبادل بين المحبة والمصالح وتعلقت المحبة بالمصالح المنتفع بها لا بمصدرها .

ان كمال الانسان النوعى نجده فى اطلاق مداركه عن القيد ، وفى اطلاق مطالبه عن النهايات ، وفى تسليمه على صغره الى العالم الأكبر على عظمه فيصارعه بمواهبه وهى غير محصورة حتى يعتصر منه منافعه وهى غير محدودة ، وفى ايداعه من قوى الادراك والعمل ما يساعده على المغالبة ويمكنه من المطالبة بسعيه ورأيه . ويتبع ذلك أن يكون له فى كل كائن ما يصل اليه يده لذة ، ويجانب كل لذة ألم ومخافة . فلا تنتهى رغائبه الى غاية ، ولا تقف مخاوفه عند نهاية قال تعالى : (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) (١) .

والانسان تفاوتت أفراده فى مواهب فهمه وفى قوى عمله وفى مقدار همته وعزمه فمنهم من يميل الى الخير ويجتنب عن الشر والشهوات ولا يريد أن يعتدى على أخيه فى نفسه وحقوقه . ومنهم من تكون همته أقوى وعمله أحسن فيسعى دائما الى الاحسان ومساعدة صاحبه وآثره على نفسه ولو كانت به خصاصة . ومنهم من تدنت وضعفت همته فغرق فى الشهوات حتى أذنبه واستبد به الطمع

---

(١) المعارج : ١٩ — ٢١

الى أن يتخيل أن اللذة فى أن يتمتع بدون عمل ولا عناء ويرى الخير فى أن يقيم مقام العمل أعمال فكره فى استخراج الحيل ويخدع بها الآخرين فيتمتع على حسابهم. بل وقد يجد الخير واللذة فى نهب أموال الآخرين والاستيلاء على حقوقهم بالقوة والسلاح . فحل التناحر محل التعاون ونزل التناهب منزلة التواهب وقامت العداوة مقام الصداقة ، وصار الضابط لسيرة الانسان الخداع والقهـــر .

ولا تقف مطالب الانسان على المتع الحسية واللذائذ الجسدية بـــل له مطالب أخرى من اللذائذ الروحانية والمتع المعنوية فيمتد تنافسه اليها . ومنها الشعور بالاحترام له فى نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة . وهـــذا الشعور شهوة تطغى على جميع الشهوات ولذة الوصول اليه تفوق جميـــــع اللذائذ . وقد يبذل الانسان من أجل الوصول اليه كل ما عنده من الأموال والأرواح . وهو لو صرف الى طريقه السوى يعتبر من أفضل الدوافع لنيــــل الفضائل ولاجتناب الرذائل . ولكن الانسان كما عرفنا مجموع استعدادات وقوى تتفاوت فى أفراده . ومراتب ادراكه وهمته وعزيمته مختلفه . فنجد أنـــه قد يسعى لنيل الشعور بالاحترام بطريقة سليمة يخدم الناس بأعماله الحسنــــة وأعطاهم من مواهبه وامكانياته ما يجعلهم يحترمونه بكل سرور ورضا . كما أن بعض الناس قد يتخيل أن الطريق الصحيح لاعلاء منزلته فى القلوب وحصول احترام الآخرين هو تخويفهم وقهرهم وارهابهم .

هذه هى حالة الانســـان وغروره وضعفه . وما دام ان استقامة أمـــره وجماعته مبنية على تعاون بعضهم بعضا وان بقاءه فى الحياة منوط بتعاضـــده مع غيره من بنى جنسه ، فلا شك أنه لابد للنوع الانسانى من أجل بقائه وانتظام

جماعته من شيئ يربطهم بعضهم بعضا ويجعل كل واحد منهم يشعر بمسئوليته في مجتمعه . حتى لا يختل التوازن فيه وينفلت النظام وتعم الفوضى ، وقد يكون هو المحبة . ولكن أمر المحبة في الانسان كما عرفنا .

وزعم بعض الناس ان العدل يمكن أن ينوب مناب المحبة ، وان في استطاعة عقل الانسان ان يضع قواعد العدل ، فعلى العقلاء الحكماء أن يضعوا قواعده وعلى أهل السلطان أن يحملوا جميع الناس على رعايتها وتطبيقها فيستقيم أمرهم وينتظم جمعهم.

هذا القول قد لا يبعد عن الصواب . قد يوجد أناس حكماء لهم من العقل والحكمة والاستقامة في السلوك والترفع عن الشهوات ما يمكنهم من وضع قواعد وأصول الفضيلة . قص لنا تاريخ العرب أيام الجاهلية حياة حنفاء من أمثال : زيد بن عمرو بن نفيل . كانوا يعتقدون بوحدانية الله ويعيشون على التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل. (١)

وكذلك كان لليونان فلاسفة حكماء يضعون اصول الفضيلة لشعبهم ويتبعهم أناس غير قليلين ، ومنهم سقراط وافلاطون.

ولكن هل وجد في تاريخ الانسانية وهل يتفق مع طبيعة الانسان أن يخضع جميع الناس أو أكثرهم لرأى عاقل لمجرد أنه الصواب ؟ وهل يكفى

---

(١) السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ، تقديم وتعليق طه عبد الرؤف سعد ، نشر : الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون جـ ١ ص ٢٠٤ — ٢١٤

فى اقناع شعب او امة قول عاقلهم انهم مخطئون وان الصواب ما يدعوهم اليه ، واقام على ذلك حججا ساطعة مثل ضوء النهار ؟

ان هذا لا يعرف فى سطور التاريخ ولا يتفق مع طبيعة الانسان مما تقدم من التفاوت فى عقول افراده واستعداداتهم وقوى ادراكهم وعزائمهم وهممهم واختلاف نوازعهم وميولهم . ولو كان ذلك صحيحا لكانت العرب ايام الجاهلية من افضل شعوب العالم خلقا وابعدهم عن ارتكاب الفواحش بسبب وجود هؤلاء الحنفاء بينهم . ولكان اليونانيون يتحلون بأسمى الفضائل ولم تفرق كلمتهم الحروب التى نشبت بينهم بسبب وجود الفلاسفة الحكماء بينهم .

اذن مجرد البيان العقلى لا يدفع نزاعا ولا يجلب طمأنينة لان من لم يكن عقله فى مرتبة عقل فاضل من العلماء لا يستطيع ان يذوق ما ذاقه هذا الفاضل .

ولو فرضنا وجود من قام بحمل الناس طوعا او قهرا على امتثال شريعة العقل فقد يزعم هذا القائم انه ارفع من واضعها فيذهب بالناس الى ما تريد شهواته فيتهدم بناؤها ويفقد ما قصد بوضعها .

اذا كان الانسان قد فطر على أن يعيش فى جماعة ولم يمنح مع تلك الفطرة ما منحه النحل وبعض انواع النمل من الالهام الهادى الى ما يلزم لذلك . وانما ترك الى فكره يتصرف على نحو ما تقدم . وفى ذلك ما لا يخفى من الهلاك والخراب على جماعته والخطر على وجوده . فلا ريب ان الله تعالى لم يترك النوع الانسانى يتخبط فى حياته يسعى الى هلاك نفسه وفناء وجوده . فالله الخالق المبدع الحكيم لا يترك اضعف مخلوقاته وأحطها منزلة دون منحه ميزة يتمتع بها حياته وتحفظها من الاخطار . وقد الهم النحل كيف تتخذ بيوتها وتطلب رزقها وتصنع ما هو شفاء للناس . قال تعالى : (واوحى ربك الى النحل ان اتخذى

من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون • ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (١)

ولما كان الانسان مخلوقا عجيبا يستطيع أن يصعد عقله وفكره الى أعلى المراتب ويسامى بقوته ما هو أعظم منه من قوى الكون الأخرى ثم يصغر وينحط الى أدنى درجة من الخضوع متى طرأ له أمر ما لم يعلم سببه ولم يعرف منشأه ويمكن أن اقتيد الى الهدى من ذلك الضعف وأخذ الى طريق السعادة من ذلك الوضع ، أكمل الله تعالى جوده للنوع الانسانى على حسب ما اقتضته حكمته بتخصيص نوعه بما يميزه من غيره •

وكما جاد على كل فرد منه بالعقل المسيطر على الحواس لينظر فى طلب رزقه وسلامة حياته من الأعداء والاخطار جاد على جملته بما هو أمس بالحاجة فى بقاء حياته وآثر فى الوقاية من الشقاء وأحفظ لنظام الاجتماع الذى هو مطبوع فى فطرته •

فمن الله على النوع الانسانى بالنائب الحقيقى ~~المحبة~~ عن المحبة فأقام له من بنى أفراده مرشدين هادين ، وميزهم بآيات باهرات تملك النفوس ، فيطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون العقول ببواهر من آياته فيحيطونها بما لا مندوحة عن الأذعان له ويستوى فى الميل الى ما يجيئون به جميع الناس علماؤهم وجهلاؤهم وملوكهم ورعاياهم

(١) النحل : ٦٨ — ٦٩

وأغنياءهم وفقراءهم ، يعلمونهم ما أراد الله مما يصلح حياتهم فى الدنيا والآخرة وما شاء أن يعلموه من شئون ذاته وكمال صفاته • وأولئك هم أنبياء الله ورسله •

فبعثة الأنبياء من مكملات نوع الانسان ومن أهم حاجاته فى بقائه ومنزلتها من النوع الانسانى منزلة العقل من الفرد •

قال تعالى (ولكل أمة رسول فاذا جاءهم رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) (١)

وقال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (٢)

وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (٣)

هذا هو المسلك الثانى • وقد ذكره ابن سينا (٤) ومحمد عبده (٥) وغيرهما (٦) •

---

(١) يونس : ٤٧

(٢) الحديد : ٢٥

(٣) البقرة : ٢١٣

(٤) النجاة لابن سينا ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤

(٥) رسالة التوحيد ، ص ٥٠ ـ ٥٧

(٦) الوحى المحمدى لمحمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ، ط سادسة، ص ٣٩

جـ - المسلك الثالث

يشعر الانسان انه مخلوق يعتريه الضعف والمرض والعجز والموت وينظر الى الطبيعة حوله فيندهش امام جمالها وسحرها وضخامتها وخطرها. يجد السماء صافيا يزدان بالكواكب المضيئة ثم قد ينقلب فجأة فيصير منبعا لعاصفة هوجاء وامطار غزيرة مدمرة • وفي عالم الجبال وهي في طبيعتها حجرية قاحلة يرى بينها في اصقاع من الارض جبالا مكسوة بالاشجار والزروع يهب من اعلاها نسيم عليل اذ بها تتحول في وقت من الاوقات براكين تمج نارها وتمطر احجارا نارية وطينا جهنميا لا تمر على شيء الا اتت عليه وجعلته كالرميم • ويحسره جمال الانهار تجري بهدوء في سهول خضراء تسير فيها المنشآت الجواري كالاعلام ثم لا تلبث ان تقذف بسيلها وتعصف بما حولها من العباد والبلاد •

ومن هنا وامثاله يفكر الانسان في اسرار العالم وعجائبه ويشاهده مسيرا بنظام دقيق صارم • فيرى الشمس في شروق وغروب مطرد تجري لمستقر لها ، ويرى القمر يتولد هلالا فيصير بدرا ثم يعود كالعرجون القديم • له مع الشمس نظام عجيب : (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)(١)

ويعلم انه يأتي منهما الليل والنهار وفي ذلك مصالح للناس ومنافعهم • قال تعالى : (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون • قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ، ومن رحمته جعل لكم

---

(١) يس : ٤٠

الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (١)

هذه آيات من الكون يشاهدها الانسان ويشعر بها شعورا في أعماق نفسه يضطره الى الايمان بانه لابد لهذا الكون من خالق عظيم ابدعه ودبره واحكم نظامه : قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل افلا تتقون) (٢) •

وقال تعالى : (هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون) (٣) •

فمن هذا الشعور بعظمة مدبر هذا الكون يندفع الناس اندفاعا قويا الى البحث والتعرف على شؤون هذا المدبر العظيم الذى شهدت به آثاره • فيضطره ذلك الشعور الى التساؤل : من هذا المدبر ؟ وما نعوته وصفاته ؟ وهل قدر لهذا الكون نهاية ؟ وما بعد هذه النهاية ؟ وما مصير الانسان فيها وبعدها ؟ تلك تساؤلات تدور في خلد النفس•

هذا التساؤل من الانسان لم يجد له مجيبا ولم يصل في بحثه الى طمأنينة بل ذهب الانسان الى منازع مختلفة • تمثل بعض البشر هذا المدبر في الكواكب فعبدوها وتمثله بعضهم في الملائكة فقدسوها • ولعل في قصة ابراهيم فيما جرى بينه وبين قومه وابيه ما يشهد بما ذكر •

---

(١) القصص : ٧١ — ٧٣ (٢) يونس : ٣١
(٣) النحل : ١٠ — ١٣

قال تعالى : (واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين)(١)

وقد اثبتت احداث التاريخ ان الانسان لا يستطيع ان ينفرد بادراك الاعتقاد الصحيح بخالقه والعبادة الصحيحة له • فقد مرت على النوع الانسانى فترات بعد فيها عهده عن رسل الله فوقع بعض افراده فى الوهم والضلال فعبدوا اصناما لا تضر ولا تنفع وقدموا اليها الهدايا والقرابين — وكان قوم ابراهيم أبرز مثال لذلك كما ذكرته الآية السابقة — أو عبدوا الشمس وغيرها من مظاهر الكون • قال تعالى فى حكاية قوم سبأ (انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون)(٢)

وبعضهم استعبد هم أدعياء الربوبية • قال تعالى فى حكاية موسى وفرعون (هل اتاك حديث موسى • اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى ان تزكى . واهديك الى ربك فتخشى . فأراه الآية الكبرى • فكذب وعصى ثم ادبر يسعى . فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى)(٣) •

واليونان امة قديمة ذات حضارة عريقة وأشاد بها كثير من المعاصرين ومع ذلك لم يمنع تحضرها من الانزلاق فى الوثنية فكانت تعبد آلهة كثيرة وكانت تصور الهتهم كأنها اناس تتمتع بما هب ودب من الصفات الانسانية • فهى تحقد وتغار وتتزوج وتنجب وتحارب •

---

(١) الانعام : ٧٤
(٢) النمل : ٢٣ — ٢٤
(٣) النازعات : ١٥ — ٢٤

والهنود القدماء قد عرفوا عبادة الحيوانات وخاصة البقرة • كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة (١) •

كما أن المصريين القدماء كانوا يعرفون عبادة رع اله الشمس وآلهة أخرى (٢) •

وأما الأشوريون فكانوا يعبدون " أشور " ويعتبرونه ملك الآلهـة جميعا وخالق البشـر (٣) •

والصينيون يعتقدون أن " تيان " اله السماء هو سيد الآلهـة والاله الأعلى • ومع عبادتهم له كانوا يعبدون أرواح أسلافهم ويقدمون لهـا القرابـين (٤) •

وهكذا نجد أن النوع الانسانى قد وقع فى مر العصور وشتى البقـاع فى ضلال واضطراب فى تصور الاله المسيطر للعالم وعبادتم •

لذلك اقتضت حكمة البارى تعالى ان ينقذ البشر ويصون كرامتهـم من الذل بعبادة العباد والجماد ، ويهديهم الى الجواب الصحيـح للأسئلة التى طالما راودتهم •

فتفضل الله تعالى على هؤلاء البشر بابتعاث أنبيائه لتعريفهم بجلاله تعالى وكماله ووحدانيته فى ذاته وصفاته وعبادته وأخبارهم عن مصير الانسـان وما ينبغى أن يعمله لمواجهة ذلك المصيـر •

قال تعالى مبينا الغرض الأساسى من بعثة الرسل (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) (٥) وقال (والى عاد أخاهم هودا • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون) (٦) وقال (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (٧)

---

(١) مقارنة الأديان ، د • أحمد شلبى ، جـ ٤ ص ٢٨
(٢) قصة الديانات ، سليمان مظهر ، ص ٢ (٣) المصدر نفسه ، ص ٤٣
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ـ١٧٧ (٥) الاعراف : ٥٩ (٦) الاعراف : ٦٥
(٧) الاعراف : ٧٣

الفصل الثالث

(النبوة عند الفلاسفة)

أ ـ مذهبهم في النبوة :

(١) بعثة الأنبياء واجبة

(٢) النبوة مكتسبة

(٣) خصائص ~~النبوة~~ الأنبياء

ب ـ نقد مذهبهم ~~فيها~~ في النبوة

(١) نقد مذهبهم في وجوب بعثة الانبياء

(٢) نقد مذهبهم في اكتساب النبوة

(٣) نقد مذهبهم في خصائص ~~النبوة~~ الأنبياء

الفصل الثالث

النبوة عند الفلاسفة

أ — مذهبهم فى النبوة

ان لفلاسفة الاسلام آراء خاصة فى النبوة مختلفة تماما عن مذهب جمهور المسلمين • ولذلك أردنا أن نبحثها فى فصل خاص •

وكان أول من تكلم فيها منهم أبو نصر الفارابى (ت٣٣٩هـ) ، ثم جاء بعده ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) وغيره سائرين على منواله • ويظهر من آرائهم فيها أنهم متأثرون بالفلسفة اليونانية (١) •

(١) بعثة الانبياء واجبة :

تقول الفلاسفة : ان بعثة الأنبياء واجبة ، ويجب ان يكون النبى انسانا وان يكون له خصوصية ليست لسائر الناس تميزهم عن غيرهم •

وذلك لان الانسان لا تحسن معيشته لو انفرد وحده شخصا واحدا يتولى تدبير أمره من غير شريك يساعده على سد حاجاته ، بل لابد ان يكون مكفيا بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضا مكفيا به ونظيره •

---

(١) فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ، د • ابراهيم بيومى مدكور ، دار المعارف ، ١٩٦٨ م ، ط ثانية ص ٧٠ ومابعده •

فالانسان مدني بالطبع ولا يمكنه أن يعيش عيشة طيبة الا بمشاركة غيره من بني جنسه ، ولا تتم هذه المشاركة الا بمعاملة فيما بينهم ، ولابد في المعاملة من شرع يحفظ العدل بينهم ، ولابد للشرع والعدل من مشرع عادل ، ولابد ان يكون هذا المشرع العادل انسانا له خصوصية تميزه عن غيره بحيث يجوز له ان يخاطب الناس ويلزمهم الشرع والعدل • وهو الذي سمى بالنبي •

ان حاجة الانسانية الى هذا الانسان لضمان بقائها اشد من الحاجة الى انبات الشعر على الحاجبين وما اشبهه من المنافع التي لا ضرورة اليها في بقاء الانسانية • فلا يجوز أن توجد هذه المنافع ولا توجد تلك المنفعة التي هي أساسها واعظم منها •

" فواجب اذن ان يوجد نبي وواجب ان يكون انسانا وواجب ان يكون له خصوصية ليست لسائر الناس • " (١)

---

(١) النجاة ، لابن سينا ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤
وانظر ايضا : الاشارات والتنبيهات لابن سينا ، مع شرح للطوسي ، تحقيق : د • سليمان دنيا ، دار المعارف ، ١٩٦٠ م ، ص ٨٠٢ ـ ٨٠٥ •
وايضا : آراء اهل المدينة الفاضلة ، للفارابي ، مكتبة محمد على صبيح ، ص ٧١ ـ ٧٣ •
وأيضا : المواقف للايجي وشرحه للجرجاني ، جـ ٣ ص ١٧٣ •
وايضا : الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز الوكيل جـ ٣ ص ٤٤ ـ ٤٥ •

(٢) النبوة مكتسبة

ويقولون : ان النبوة لا ينالها الا من بلغت نفسه الناطقة وروحه المجردة وقواها المختلفة مستوى خاصا من القوة والصفاء سواء كانت تلك القوة وذلك الصفاء ذاتيا حاصلا لها بأصل الفطرة والتكوين ، أو كان ذلك ثمرة لمزاولته انواعا من الرياضات والمجاهدات (١)

(٣) خصائص ~~النبوة~~ الأنبياء

ويقولون : ان للأنبياء خصائص تميزهم عن سائر الناس وهى ثلاثة أمور • فمن اجتمعت فيه هذه الثلاثة فهو نبى •

وهى :

١ـ الاطلاع على المغيبات

٢ـ صدور الافعال الخارقة للعادة

٣ـ ومشاهدة الملك سامعا كلامه

أما الاطلاع على المغيبات فبيان ذلك :

أن الأجرام السماوية لها نفوس مجردة عن المادة ذوات أدراكات جزئية وارادات جزئية ، وهذه النفوس هى الملائكة السماوية ، (٢) فكل جرم سماوى له نفسه تدبر أمره وتعلم ما يجرى فيه ، وهذه النفوس أو الملائكة على تستند اليها الحوادث فى عالم العناصر الأرض وما فيها

---

(١) المواقف للايجى وشرحه للجرجانى ، جـ ٣ ص ١٧٣
وانظر أيضا : الاشارات والتنبيهات لابن سينا ، مع شرحه للطوسى ص ٨٩٧ ـ ٨٩٨ •

(٢) تهافت الفلاسفة للغزالي بدار المعارف بمصر ط خامسة ص ٢٢٦ •

وما حولها ، وبالضرورة تعلم هذه النفوس جميع هذه الحوادث لأنها هي المؤثرة فيها . وبما أن النفوس البشرية مجردة عن المادة في ذاتها فهي مثل الملائكة كلاهما مجرد في ذاته عن المادة ، فيمكنها الاتصال بها اذا تميزت بصفاء الجوهر والقوة والعزوف عن الاشتغال بالماديات فتفيض الملائكة عليها بما انتقش فيها من صور الحوادث في عالم العناصر ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وقد ضربوا لذلك مثلا . قالوا : اذا كان هناك مرآة فيها نقوش وصور فاذا قابلت تلك المرآة بمرآة أخرى محاذية لها فقد انعكست الصور من الأولى وانطبعت في الثانية . فالملائكة كالمرآة الأولى ترتسم فيها صور الحوادث ، وبعض النفوس البشرية كالمرآة الثانية التي انطبع فيها ما في المرآة الأولى .

واستدلوا على جواز ذلك .

أولا : أن النفوس البشرية متفاوتة في ادراكها للمعقولات . فمنها نفوس ذكية قدسية تستطيع أن تدرك النظريات بالحدس أي الادراك من غير تفكير واستدلال من دون أن يعرض لها غلط ، ومنها نفوس بليدة لا تكاد تفهم البديهيات .
وبين هذه وتلك مراتب عديدة . فاذا كانت هذه حال النفوس البشرية فمن الجائز أن ترتقي نفس النبي وهي التي قد امتازت بالقوة والصفاء والعزوف عن الشواغل من الماديات والشهوات الى مرتبة أعلى بحيث ينكشف لها المغيبات.

وثانيا : أن النفوس البشرية مجردة عن المادة فى ذاتها فتصلح وتستعد لأن تفيض الملائكة عليها بكثير من المغيبات ، وانما يحجبها عن ذلك انشغالها بالماديات والشهوات • ولذلك انكشف بعض المغيبات لأناس قلت شواغلهم المادية والشهوانية كالمرتاضين بأنواع المجاهدات وكالمرضى وقد صرفهم المرض عن الانشغال بأبدانهم واستعمال أعضائهم وكالنائمين وقد سكنت حواسهم عن العمل • وهؤلاء قد يطلعون على بعض الغيب ويخبرون بما رأوه فى رياضتهم أو مرضهم أو نومهم • واذا كان هذا حال المرتاضين والمرضى والنائمين من الأناس العاديين فلا يبعد أن ينكشف للنبى المغيبات وقد صفت نفوسهم وقويت وبلغت مرتبة ممتازة تفوق مراتب الناس العاديين •

وأما الخاصة الثانية وهى صدور الأفعال الخارقة للعادة فالمراد بذلك أن يظهر من النبى أفعال خارقة للعادة بأن يتصرف فى عالم العناصر خارج بدنه بارادته كما يتصرف هو فى بدنه بارادته فيستطيع بارادته من دون آلة أن يحدث فى الأرض سيلا عارما وأعاصير عاتية وزلازل مدمرة وهلاك أشخاص مجرمة ودمار مدن عاصية • فنفس النبى لقوتها وصفاءها اذا تحررت من قيود المادة وأثقال الشهوات يصبح لها قدرة على التصرف فى عالم العناصر كما تتصرف فى أجزاء بدنها •

وذلك لأن " الهيولى مطيعة للنفوس ومتأثرة بها وأن هذه الصور تتعاقب عليها من آثار النفوس الفلكية • وهذه النفس الانسانيه من جوهر تلك النفوس وشديدة الشبه بها ونسبتها اليها كنسبة السراج الى الشمس ، فكما أن ضعف السراج لا يمنع من كونه

مؤثرا فى التسخين والاضاءة كالشمس ، فكذلك نفس الانسان ـ مع ضعفها ـ تؤثر فى هيولى العالم كالنفوس الفلكية".(١)

واستدلوا على ذلك بأننا نحس سلطان النفس على بدنها وتأثيرها فيه بارادتها . فان النفس تحدث احرار الوجه عند خجلها وتحدث اصفراره عند وجلها وتحدث تسخينا عند غضبها . فاذا كان هذا حال النفوس العادية فيجوز أن يكون لبعض النفوس من القوة الممتازة ما يجعلها تستطيع أن يتجاوز سلطانها بدنها الى أجسام وعناصر أخرى ولا سيما العنصر الذى يكون أقرب الى مزاجه فتؤثر فيها تأثيرات مختلفة .

وكيف يستنكر صدور الأمور الخارقة للعادة من النبى مع أننا نشاهد مثلها من أهل الرياضة والصلاح .

والخاصة الثالثة مشاهدة الملك سامعا كلامه ـ المراد بذلك أن يرى النبى الملك مصورا بصورة محسوسة ويسمع كلامه وحيا منه تعالى .

وذلك لأن نفس النبى صافية وقوية جدا تستطيع أن تتصل فى اليقظة بعالم القدس . فاذا اتصلت به فى اليقظة شاهدت المعقولات كمشاهدة المحسوسات . لأن القوة المتخيلة جعلت المعقولات المرتسمة فى النفس كأنها أشياء محسوسة فيرى النبى الصور الجميلة ويسمع الأصوات المنظومة المرتبة ، وتكون الصورة الجميلة المحاكية المتخيلة للجوهر الشريف هو الملك الذى يراه النبى ، والمعارف التى تصل الى النفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع فى الحس المشترك فيكون مسموعا هو الكلام الذى يسمعه النبى من الملك .

---

(١) مقاصد الفلاسفة للغزالى تحقيق : د . سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

واستدلوا على ذلك بما يحصل للنائم فى منامه فقد يرى أشخاصا يكلمونه بكلام مفهوم دال على معانى صادقة مطابقة للواقع مع أن هؤلاء الأشخاص التى يراها ليست محسوسة فى الخارج قطعا ٠

فاذا جاز ذلك للشخص العادى فى منامه فلا يستبعد أن يجوز ذلك للنبى فى يقظته ٠

واذا قيل أن الفرق واضح ٠ فالنائم انما يرى ما يرى فى نومه ولا يمكنه أن يراه فى يقظته ٠

فالجواب عن ذلك أن النائم انما يرى تلك الرؤية الصادقة لأن حواسه لا تشغل بالمحسوسات ، فهذه فرصة لنفسه المجردة عن المادة أن تتصل بعالم المجردات فتتمثل المتخيلة أشباحا وأشخاصا يخاطبونها ببعض المغيبات وتسمع منهم ٠

واذا كان سبب الرؤية الصادقة على هذا النحو انفكاك النفس البشرية عن سلطان الحواس والمحسوسات فلا يستبعد أن يجوز ذلك للنفس النبوية فى يقظتها وقد امتازت بصفائها وقوتها بحيث تستطيع أن تتسلط على حواسها وتهملها وتنفك عنها ٠

وعندئذ يمكنها أن تتوجه الى عالم القدس وتتصل به فتتمثل بقوتها المتخيلة أشخاصا تشاهدها فى حسها المشترك تخاطبها وتسمع كلامها ٠ (١)

---

(١) المواقف وشرحه ، جـ٣ ص ٧٣ / وما بعدها — وأيضا النجاة لابن سينا ص ١٦٥ — ١٦٨ و ٢٩٩ — ٣٠٧ ٠ وأيضا الاشارات والتنبيهات له ، مع شرحه للطوسى ص ٨٥٣ — ٨٩٦ ٠ وأيضا : الشفاء ، له ، قسم الطبيعيات منه ، فى النفس ، تحقيق : د ٠ جورج قنواتى وسعيد زايد ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ص ١٥٤ — ١٧٢ — ٢١٨ — ٢٢٠ ٠ وقسم الالهيات منه ، طهران ، ١٣٠٣هـ ، جـ ٢ ص ٥٤٢ — ٥٤٨ ٠
وأيضا : آراء أهل المدينة الفاضلة ، للفارابى ، ص ٦٨ — ٧٠ ، ٧٧ — ٧٨ ٠
وأيضا : مقاصد الفلاسفة ٠ للغزالى ، ص ٣٨٠ — ٣٨٣ ٠
وأيضا : النبوات : لابن تيمية ، ص ١٦٨ — ١٧٠ ٠
وأيضا : طوالع الأنوار للبيضاوى مع شرحه لأبى الثناء الاصفهانى ، شركت علمية ، ١٣٠٥ هـ ، ص ٤٠٨ — ٤٠٩ ٠
وأيضا : تهافت الفلاسفة للغزالى ، ص ٢٢٦ — ٢٣٨ ٠

في النبوة

ب – نقد مذهبهم ~~فيها~~

ا– نقد مذهبهم في وجوب بعثة الأنبياء

وفي ثنايا رأيهم وجدنا أمورا نحب ان نبحثها ونناقشها • يقولون : ان بعثه الانبياء واجبة ، ويجب ان يكون أنسانا وان يكون له ما يميزه عن سائر الناس•

يقول ابن سينا في النجاة : " فواجب اذن ان يوجد نبي ، وواجب ان يكون انسانا ، وواجب ان يكون له خصوصية ليست لسائر الناس " (١)

هنا نتسائل : ما المراد بالوجوب ؟ فالوجوب يحتمل معاني عدة• ولذلك اعترض عليه الرازي بقوله انه اذا كان المراد بالوجوب هو الوجوب الذاتي فهو محال• وان كان المراد ان ذلك واجب على الله تعالى – كقول المعتزلة – فهو ليس بمذهبهم • وان كان المراد ان ذلك سبب للنظام في الكون الذي هو خير ما ، والله هو مبدأ كل خير فاذن وجب وجود ذلك عنه ، فهو أيضا باطل ، لأن الأصلح ليس بواجب ان يوجد ، والا لكان الناس كلهم مجبولين على الخير فان ذلك أصلح • (٢)

وقد أجاب الطوسي على ذلك بأن المراد بالوجوب هنا أن ذلك سبب للنظام في الكون بمعنى ان وجود نبي يكون سببا في اشاعة العدل والطمأنينة بين الناس • وهذا أمر جميل • ولأن الله مصدر كل خير ، فلابد ان يصدر ذلك عنه • كما أجاب عن اعتراض الرازي بأن الأصلح ليس بواجب بما معناه ان الأصلح للكل واجب • أما الأصلح للبعض فليس بواجب • (٣)

ويعترض على قول الطوسي :

أولا : هل الله مصدر الخير العام فقط او هو والخير الخاص • فاذا كان

---

(١) النجاة ، لابن سينا ، ص ٣٠٤
(٢) الاشارات والتنبيهات مع شرحه للطوسي ، ص ٨٠٧
(٣) المصدر نفسه ص ٨٠٨ – ٨٠٩

الله مصدر الخير العام والخاص فلماذا التفرقة بينهما في وجوبها على الله تعالى .

ثانيا — ان الفلاسفة قالوا ان الله واجب الوجود لم يصدر منه مباشرة الا العقل الأول . فالنبوة لا تستند مباشرة الى الله بل تستند الى العقل العاشر كما قالوا . فاسنادها الى الله — هنا — لا يتفق مع قواعدهم العامة .

ثم بين الطوسى انه ليس معنى ذلك ان الانسان لا يمكنه أن يعيش الا بالنبوة ، وانما معناه أنها أمر لا يكمل النظام المؤدى الى صلاح حال العموم فى المعاش والمعاد الا به . فالانسان يكفيه فى أن يعيش نوع من السياسة لحفظ اجتماعهم الضرورى وان كان منوطا بتغلب أو ما يجرى مجراه (١) .

ويؤخذ من هذا الكلام ان النبوة ليست ضرورية للانسان وانما هى حاجة كمالية فقط . ولعل هذا يشعرنا بأن النبوة ليست واجبة كما يدعون لأن الواجب هو الأمر الضرورى وهى ليست ضرورية عندهم كما قال الطوسى .

ومما قاله الطوسى — وهو ممن يعرف بمناصرته لابن سينا — يظهر واضحا أن المراد بالوجوب هنا عند ابن سينا ليس الوجوب الذاتى ، وليس ان ذلك واجب على الله لأنه من لطف الله الواجب عليه كما قالت المعتزلة بل المراد أن ذلك سبب النظام المؤدى الى صلاح الناس فى معاشهم ومعادهم . فما دام هذا النظام موجودا يجب أن يوجد سببه .

وهذا موافق لما بينه الغزالى فى مقاصد الفلاسفة اذ يقول فى بيان اثبات أن النبى لابد أن يدخل تحت الوجود عند الفلاسفة :

---

(١) المصدر نفسه ص ٨١ .

" وكما لابد لنظام العالم من المطر مثلا ، والعناية الالهية لم تقتصر عن ارسال السماء مدرارا ، فنظام العالم لا يستغنى عمن يعرفهم وجه صلاح الدنيا والآخرة ولا يشتغل بها كل واحد . وهذا النظام موجود في العالم فاذن سبب النظام موجود " (١)

وخلاصة القول انهم يقولون ان بعثة الأنبياء واجبة لأنها سبب النظام المؤدى الى صلاح الناس في معاشهم ومعادهم ولا يجوز لله ان يهملها . والقول بوجوب بعثة الأنبياء قد بينا بطلانه فيما سبق وأوضحنا ان ذلك متعارض مع ارادة الله المطلقة. (٢)

ولابد من التنبيه على ان قولهم مخالف لما قلناه في الفصل الثاني ان من دوافع حاجة البشر الى بعثة الرسل والأنبياء كونهم يحتاجون الى شريعة تنظم أمورهم وبالتالي يحتاجون الى وجود مشرع يستمد شريعته وقوته من الله تعالى وهو النبي . (٣) لأننا نقول ان النظام المؤدى الى صلاح الناس في معاشهم ومعادهم نتيجة وحكمة بعثة الأنبياء تنزه الله عن اهمالها وتعالى عنه ، بينما هم يقولون ان ذلك أمر موجب لبعثة الأنبياء . والفرق واضح بين ان نقول هذا شيء تنزه الله عن اهماله وبين ان نقول هذا شيء يجب عليه تعالى كما قد بينا في بحث سابق . (٤)

٢ـ ب نقد مذهبهم في اكتساب النبوة

اتهم جمهور العلماء الفلاسفة بأنهم قالوا ان النبوة مكتسبة وكان ابن تيمية وابن أبي الشريف القدسي ممن صرح بهذا الاتهام يقول ابن تيمية : " كان من أصلهم ـ اى الفلاسفة ـ ان النبوة مكتسبة " (٥)

(١) مقاصد الفلاسفة للغزالي ، ص ٣٨٤
(٢) راجع الصفحة ٣٥ـ ٤٠ من هذه الرسالة في بحث امكان بعثة الأنبياء.
(٣) راجع الصفحة ٥٨ـ ٦٥ من هذه الرسالة في بحث حاجة البشر الى الرسالة.
(٤) راجع الصفحة ٣٥ ـ ٥٠ من هذه الرسالة في بحث امكان بعثة الانبياء .
(٥) النبوات ، لابن تيمية ، ص ١٧

ويقول ابن ابى الشريف : " واعلم ان الفلاسفة يثبتون النبوة لكنها عندهم مخالفة لمعناها عند أهل الحق فانهم يرون انها مكتسبة "(١).

وفى كلام ابن سينا ما يدل على صحة ذلك . قال فى كتاب الاشارات والتنبيهات بعد ان بين ان بعض النفوس تستطيع ان تطلع على المغيبات كما تستطيع ان تصدر منه الخوارق للعادة وان تؤثر على العناصر التى خارج أجسادها :

" هذه القوة ربما كانت للنفس بحسب المزاج الأصلى الذى لما يفيده من هيئة نفسانية يصير للنفس الشخصية تشخصها . وقد تحصل لمزاج يحصل . وقد تحصل بضرب من الكسب يجعل النفس كالمجردة لشدة الذكاء كما يحصل لأولياء الله الأبرار " — ثم قال : " فالذى يقع له هذا فى جبلة النفس ثم يكون خيرا رشيدا مزكيا لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء اوكرامة من الأولياء . وتزيده تزكيته لنفسه فى هذا المعنى زيادة على مقتضى جبلته فيبلغ المبلغ الأقصى "(٢)

وقد شرح الطوسى هذا الكلام بقوله :

" لما ثبت وجود قوة لبعض النفوس الانسانية أعنى القوة التى هى مبدأ الافعال الغريبة المذكورة ، وجب اسنادها الى علة تختص بذلك البعض من النفوس.

فذكر الشيخ ان تلك العلة يجوزان تكون عين ما يتشخص به ذلك البعض من النوع ، ويجوز ان يكون أمرا غيره اما حاصلا بالكسب أولا بالكسب. فان الأقسام هذه لا غير .

وتقرير كلامه ان يقال : هذه القوة ربما كانت للنفس بحسب المزاج الأصلى

---

(١) المسامرة ، لابن ابى الشريف القدسى ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣

(٢) الاشارات والتنبيهات مع شرحه للطوسى ، ص ٨٩٧ — ٨٩٨ .

منسوبة الى الهيئة النفسانية المستفادة من ذلك المزاج التى هى بعينها التشخص الذى تصير النفس معه نفسا شخصية ، وربما تحصل بمزاج طارئ ، وربما تحصل بالكسب كما للأولياء "(١).

ومما قاله ابن سينا ، وبينه الطوسى يتضح لنا ان الاطلاع على المغيبات وصدور الأفعال الغريبة ـ اللذان هما من خصائص النبوة كما هو معلوم ـ يحصلان للانسان بسبب وجود قوة فى نفسه . وهذه القوة قد تكون طبيعية أصلية فطرية بأن يولد الانسان وله هذه القوة فى نفسه ، وقد تكون طبيعية طارئة بأن ترسخت هذه القوة فى نفسه من دون اكتساب منه الا أنها طارئة عليه ، وقد تكون طارئة عليه واكتسبها بمزاولة أنواع من الرياضة النفسية . فالأقسام ثلاثة . وبذلك تكون النبوة ثلاثة أقسام : طبيعية أصلية فطرية ، وطبيعية طارئة من دون اكتساب ، وطارئة مكتسبة.

هذا كلام ابن سينا وهو مذهبهم فى النبوة .

وهل المراد بالاكتساب فى قول علماء العقيدة حينما يتهمون الفلاسفة وينكرون قولهم باكتساب النبوة هو ما يشمل الأقسام الثلاثة المذكورة أو المراد القسم الأخير فقط ؟

لمعرفة جواب السؤال لابد ان نعلم أولا قولهم فى النبوة . فعند علماء العقيدة ان النبوة تفضل من الله تعالى يمنحها لمن يشاء من عباده. وليست صفة راجعة الى نفس النبى ولا عرضا طارئا كما انها ليست درجة يمكن أن يبلغها النبى بحلمه أو كسبه. وليست أيضا استعدادا نفسيا يمكنه ان يملك به خصائص النبوة من الاطلاع على المغيبات وغيره.

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

يقول الشهرستانى معبرا عن رأى علماء العقيدة :

" النبوة ليست صفة راجعة الى نفس النبى ولا درجة يبلغ اليها أحد بعلمه وكسبه ولا استعداد نفسه يستحق به اتصالا بالروحانيات بل رحمة من الله تعالى ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده "(١)

ويقول الآمدى :

" وليست النبوة هى معنى يعود الى ذات من ذاتيات النبى ولا الى عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله ، ولا الى العلم بربه ، فان ذلك مما يثبت قبل النبوة ، ولا الى علمه بنبوته اذ العلم بالشيء غير الشيء (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده)(٢) ، فليست الا موهبة من الله تعالى ونعمة منه على عبده وهو قوله لمن اصطفاه واجتباه : انك رسول ونبى "(٣)

ومن هنا ظهر لنا ان مذهب علماء العقيدة مخالف تماما لمذهب الفلاسفة فبينما قالت الفلاسفة ان النبوة صفة نفسية فطرية او عرض طارئ كما أنها يمكن ان تكتسب قال علماء العقيدة انها ليست صفة نفسية ولا عرضا طارئا كما انها لا يمكن ان تكتسب •

اذن رفض علماء العقيدة جميع الاقسام الثلاثة التى ذكرها ابن سينا وغيرهم من الفلاسفة فى النبوة •

وبذلك يتضح لنا ان المراد بالاكتساب فى قولهم : ان النبوة غير مكتسبة عندنا ومكتسبة عند الفلاسفة هو ما يشمل الاقسام الثلاثة •
وكان الاولى بهم ان يقولوا انها ليست مكتسبة ولا فطرية ولا عرضا طارئا .

واذا رجعنا الى القرآن الكريم وجدنا أن القول بأن النبوة ليست مكتسبة وانما هى اصطفاء وتفضل من الله تعالى ومنحة منه هو الحق •

---

(١) نهاية الاقدام ، للشهرستانى ، ص ٤٦٢ (٢) ابراهيم : ١١
(٣) غاية المرام فى علم الكلام ، للآمدى ، تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ٣١٧

قال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير) (١)

وقال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام : (قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) (٢) •

وقال تعالى (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٣) •

هذه الآيات الكريمة تبين لنا بوضوح ان النبوة اصطفاء من الله تعالى وتفضل ومنحة منه على من يشاء من عباده ، وليست مكتسبة كما زعمت الفلاسفة •

كما ان القرآن قد أوضح لنا مفهوم النبوة قال تعالى : (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده) (٤) • فهذه الآية تبين لنا ان معنى اصطفاء الله نبيا هو أن ينزل عليه الوحى ، وليس ان يجعل الله تعالى لنفس النبى خصائص معينة •

---

(١) الحج : ٧٥

(٢) الاعراف : ١٤٤

(٣) ابراهيم : ١١

(٤) النساء : ١٦٣

٣- نقد مذهبهم فى خصائص ~~النبوة~~ الأنبياء

وتقول الفلاسفة ان للأنبياء ثلاث خصائص تميزهم عن سائر الناس. وهى : الاطلاع على المغيبات وصدور الأمور الخارقة للعادة ومشاهدة الملك سامعا كلامه.

ونحب فى هذا الموضع أن نبحث قولهم ذلك.

الخاصة الاولى : اطلاعهم على المغيبات.

يقولون ان من خصائص ~~النبوة~~ الأنبياء اطلاعهم على المغيبات. وذلك بأن تفيض النفوس السماوية - التى هى الملائكة - على نفوس الأنبياء بما انتقش فيها من صور الحوادث فى عالم العناصر. وقد تقدم بيانه.

واعترض على قولهم ذلك بوجوه.

(١) الوجه الأول :

اذا كان المراد هنا الاطلاع على بعض المغيبات فهذا ليس أمرا خاصا بالانبياء. بل ذلك حاصل لغيرهم من النائمين والمرضى والمرتاضين كما قالوا أيضا(١). واذا كان الاطلاع على بعض المغيبات امرا مشتركا بين الأنبياء وغيرهم من المرضى والنائمين والمرتاضين، فلا يصح ان يكون مميزا من مميزات الأنبياء.

واذا كان المراد هو الاطلاع على جميع المغيبات فهذا أمر لا يمكن ان يحدث للبشر اجماعا. لذلك وجدنا ان القرآن قال على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير)(٢). بل الجن أيضا محجوبون عن الاطلاع على الغيب قال تعالى فى قصة وفاة سليمان عليه السلام : (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته. فلما خر تبينت الجن ان لوكانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين)(٣).

---

(١) راجع ما قاله ابن سينا فى ذلك فى الاشارات والتنبيهات ص ٨٦١، ٨٧٨- ٨٧٩.
(٢) الاعراف : ١٨٨ (٣) سبأ : ١٤

(٢) الوجـه الثانى :

ان الأرواح البشرية متحدة فى النوع والحقيقة • فروح نبينا محمـد صلى الله عليه وسلم وروح خالد مثلا من حقيقة واحدة ونوع واحد • وذلك يقتضى ان تشترك فى الأحكام والصفات ، فلا يختص فرد منها بحكم ووصف دون فرد آخـر • فاختصاص النبى بالاطلاع على بعض الغيب محللا بصفاء روحـه وقوته على التخلى من الماديات والشهوات والاقبال على عالـم القدس وامتيازها بذلك كلام غير مستقيم•

وان قيل : لعل هذه الخاصة فى النبى مستندة الى تشخص روحـه وتعلقها بذلك البدن الخاص•

قلنا : انكم قلتم ان اشتغال الروح بالعلاقات البدنية يشغلها عـن الاتصال بعالم الغيب فكيف يكون التشخص والتعلق بالبدن سببا لاطلاعها على الغيب ؟ !

وقد يعترض على هذا الاعتراض : بأنه يصح اذا كان عدم الاطـلاع على المغيبات من لوازم البشريـة • أما اذا لم يكن من لوازمها فالاعتراض غير وارد •

ويجاب عن ذلك ، بأنه اذا كان عدم الاطلاع على الغيب ليس مـن لوازم ماهية البشـر فالاطلاع على الغيب كذلك ليس من خصائصها فـاذن الدعوى بكونه من خصائص النبى باطلة بما قلنا من ان النفوس البشريـة من حقيقـة واحدة ، فلا يختص النبى بالاطلاع على الغيب دون غيره•

(٣) الوجـه الثالث :

ان دعوى اتصال الأرواح النبويـة بعالم الملائكـة لكون كل منها مجـردا من المادة وافاضـة الملائكـة عليها العلم بالمغيبات من أجل ذلك التجـرد كل ذلك دعوى لا تستند الى دليل • بل هى مجرد دعوى خطابية خالية عن البرهان •

وهذه الاعتراضات ذكرها الايجى فى المواقف وهى اعتراضات قوية (١) مبنية على التناقض فى كلام الفلاسفة أنفسهم ويصعب الجواب عنها .

وربما قالوا معترضين على الوجه الأول : كيف اعترضتم علينا بذلك مع أنكم اعترفتم بأن بعض الأولياء انكشف لهم بعض الأمور الغيبية ومع ذلك جعلتم الاطلاع على المغيبات من آية النبوة .

ولنا ان نقول لهم : اننا انما جعلنا الاطلاع على المغيبات من آية النبوة ومعجزات الأنبياء اذا كان مقرونا بالتحدى أى بدعوى النبوة . أما اذا لم يكن مقرونا به فلا نقول أنه معجزة لنبيه . وأيضا أنه اذا وقع ذلك لبعض الأولياء فهو يدل على صدق النبى الذى يتبعه ويعتبر آية لنبوته .

وفى الحقيقة اننا لا ننكر الاطلاع على المغيبات آية من آيات النبوة ودليلا على صدقهم اذا اقترن بدعوى النبوة ، وانما أنكرنا أن يكون ذلك بالطريقة التى صوروها ، لأنها مبنية على أمور غير مسلمة عندنا وهى :

١ — وجود أشياء غير مادية تسمى بالعقول .

٢ — كون هذه العقول لها تأثيراتها على عالم العناصر ولها الاطلاع على ما جرى وما يجرى فيه .

٣ — ان النفوس البشرية من جنس هذه العقول . لذلك يمكن أن تتصل بها وتقتبس العلوم منها .

ان هذه الأمور لا نسلم بصحتها لعدم الأدلة العقلية والنقلية التى تدل على ثبوتها .

---

(١) المواقف وشرحه جـ ٣ ص ١٧٥

كما انكرنا ان يكون ذلك صفة فى نفوس الأنبياء ويشترط توفرهـــــا فى ذات النبى .

وعندنا ان ذلك ليس صفة فى نفس النبى وليس شرطا يجب توفــره فى ذاته ، لعدم الدليل العقلى والنقلى الذى يدل على ذلك . ويشهـــد على هذا ان الاطلاع على المغيبات ليس مطردا فى جميع الانبياء . قـــال تعالى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء)(1) .

وصفوة القول ان الاطلاع على المغيبات - وكذا بقية المعجزات - ليس صفـة ذاتية للأنبيـاء بل هو منحة من الله تعالى لغرض خاص وهـــو الشهادة على صدقهم .

---

(١) الاعراف : ١٨٨ .

الخاصة الثانية : صدور الأفعال الخارقة للعادة منهم

ويقولون : ان من خصائص الأنبياء صدور الأفعال الخارقة للعادة منهم.

وقد تقدم بيان كيفية ذلك عندهم واستدلالهم.

واعترض على ذلك بوجهين :

(١) الوجه الأول :

ان هذا القول مبني على قولهم بأن للنفس تأثيرا على الاجسام ونحن لا نقول بذلك ، لأن المؤثر عندنا هو الله تعالى وحده ولا خالق سواه قال تعالى (قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)(١) وقال تعالى : (هل من خالق غير الله)(٢) .

واذا قيل لنا : ان التأثيرات قد حصلت عند ارادة النفس التأثير ، وهذا دليل على انها حصلت بتأثير منها .

قلنا : ان حدوث الأثر في الجسم عند ارادة النفس التأثير لا يدل عقلا على ان الحدوث حاصل بتأثير منها . اذ يمكن ان يحدث الله تعالى ذلك عند ارادة النفس التأثير دون ان يكون للنفس يد فيه . فلا تكون هي الا سببا عاديا جرت سنة الله تعالى ان يحدث تلك التأثيرات عند ارادة النفس لها .

(٢) الوجه الثاني :

انهم قرروا ان الأمور الخارقة للعادة قد تصدر من غير الأنبياء من أهل الرياضة والصلاح . اذن كيف جعلوا ذلك خاصة للأنبياء مع انه من الأمور المشتركة بين الأنبياء وغيرهم فهذا تناقض واضح في كلامهم.

---

(١) الرعد : ١٦
(٢) فاطر : ٣

وهذان الوجهان قد ذكرهما الايجى في المواقف (١)

والوجه الثانى اعتراض قوى لكونه مبنيا على التناقض فى كلامهم • وربما قالوا اجابة عليه : كيف اعترضتم علينا بذلك مع انكم كذلك قلتم أنه صدر من الأولياء أمور خارقة للعادة ومع ذلك جعلتم صدورها من الأنبياء اية لاثبات نبوتهم • وقد سبق ان أجبنا على مثل هذا الاعتراض من قبل • (٢)

والخلاصة أننا نعترف بصدور الخوارق للعادة من الأنبياء ، ونعترف أيضا أن ذلك اية من ايات نبوتهم ومعجزة تدل على صدقهم اذا اقترن بدعوى النبوة •

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ومعجزته (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم باية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله) (٣)

ولكننا لا نعترف ان يكون ذلك على حسب ما زعموه وصوروه لعدم الدليل الذى يؤيده ولأنه مبنى على أصل فاسد كما تقدم •

الخاصة الثالثة : مشاهدة الملك سامعا كلامه

ويقولون أيضا : ان من خصائص النبوة مشاهدة الملك سامعا كلامه وقد سبق بيان ذلك •

واعترض على ذلك الايجى بأن الملائكة عند الفلاسفة من الموجودات المجردة عن المادة فلا تمكن رؤيتها ومشاهدتها ، لأن ذلك من خواص

---

(١) المواقف وشرحه ،جـ ٣ ص ١٧٥

(٢) راجع الصفحة ٨٨ من هذه الرسالة فى نقد الخاصة الأولى •

(٣) آل عمران : ٤٩

الموجودات المادية • وكذلك لا يمكن سماع كلامها لان الكلام المسموع عندهم من الأمور العارضة فى الهواء المتموج ، فلا يمكن ان يصدر ذلك من الموجودات المجردة عن المادة • اذن فما زعمه الفلاسفة فى هذه الخاصة من رؤية الملائكة وسماع كلامها مجرد خيال لا وجود له فى الحقيقة كما يحصل للمرضى والمجانين ، فيكون ما يتحدث به النبى عندهم من الشرائع والأحكام كلها خيال • مع أنه لو كان أحدنا امرا وناهيا من قبل نفسه بما يوافق المصلحة والعقل لم يكن هو نبيا بالاتفاق فكيف يكون نبيا من كان أمره ونهيه من جنس ما يرجع الى تخيلات ما لا حقيقة له فى الخارج • (١)

والخلاصة انهم بزعمهم ان النبى يرى الملائكة ويسمع كلامها لزمهم القول بأن الملائكة من الموجودات المادية المحسوسة قطعا • وهذا مخالف لما قرروه من ان الملائكة من الموجودات المجردة عن المادة وهذا تناقض ظاهر فى كلامهم •

وقد أجيب عن هذا الاعتراض : بأنهم يرون ان الملائكة من الموجودات المجردة عن المادة وان نفس الأنبياء تشاهدها مشاهدة معنوية ثم تتدخل قواهم المتخيلة فى هذه المشاهدة فتتمثل هذه الملائكة المجردة أشباحا وأشخاصا ترى ولها كلام مسموع • فليس المرئى والمسموع الملائكة وكلامها بل الأشباح والأشخاص التى تمثلت القوة المتخيلة الملائكة فيها وأصواتها ، كالنائم حينما يرى فى نومه شخصا متوفى يحدثه بكلام مفهوم مطابق للواقع لاشك ان هذا الشخص ليس له وجود مادى محسوس بل هو فى عالم آخر ثم تمثلته قوة النائم المتخيلة شخصا محسوسا يكلمه بكلام مسموع صادق •

---

(١) المواقف للايجى ، مع شرحه للجرجانى ، جـ ٣ ص ١٧٦

اذن ليست رؤية النبى الملائكة وسماع كلامها مجرد خيال ، بل النبى أدرك ادراكا يقينيا بقوته العقلية موجودات حقيقية مجردة عن المادة ثم تمثلها قوته المتخيلة أشباحا أو أشخاصا ترى ولها كلام مفهوم صادق مسموع • فهناك فرق بين تخيل المرضى والمجانين وبين تخيل الأنبياء •

وعندنا أن القول بأن الأنبياء رأوا الملائكة وسمعوا كلامها لا غبار عليه بل بين القرآن أن ذلك طريق من الطرق التى كلم الله بها نبيه قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه علي حكيم) (١) كما أن فى قدرة الله أن يجعل ملكه متمثلا حقيقة فيشاهده نبيه ويكلمه وأن يجعله كذلك يسمع كلام ملكه من دون أن يشاهده •

والذى يبدو فى هذه الخاصة أنه لا فرق بين الاسلاميين وبين الفلاسفة الا اذا أخذنا فى الاعتبار مذهب بعض العلماء من أنه لا مجرد عن المادة الا الله سبحانه وتعالى ، وما سواه كله مادى سواء كانت المادة كثيفة أو شفافة كالهواء والأثير •

اذا أخذنا هذا المذهب فى الاعتبار كانت الملائكة من قبيل المادة بهذا الحكم العام • واذن يمكن الفرق بين الاسلاميين والفلاسفة فى هذه الخاصة • فعلى رأى الاسلاميين رؤية النبى للملك واضحة لأنه مادة من المواد ، بخلاف الرؤية عند الفلاسفة فان الملائكة عندهم من قبيل المجردات فلا تمكن رؤيتها كرؤية المادة •

وقد ذهب بعض الاسلاميين الى تجرد الملائكة عن المادة (٢) ، واذن فلا فرق بينهم وبين الفلاسفة فى هذه الخاصة •

---

(١) الشورى : ٥١

(٢) المواقف وشرحه جـ ٣ ص ٢١٦

وفى الحقيقة لا معنى لانكار قول الفلاسفة برؤية الملائكة وسماع كلامها لأنه ثبت عندنا بالأدلة الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى الملائكة ويسمع كلامها •

الا ان هناك فرقا بيننا وبين الفلاسفة • وهو ان تمثل الملائكة عندنا حقيقى ، ولذلك شاهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك بعد تمثله رجلا كما وقع فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما تمثل جبريل رجلا فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن اركان الاسلام والايمان أمام أصحابه (١) • وعندهم التمثل ليس له حقيقة فى الخارج بل يكون فى القوة المتخيلة للنبى •

الخلاصة :

وخلاصة القول أن هذه الخواص الثلاث الاطلاع على الغيب وصدور الأفعال الخارقة للعادة ومشاهدة الملك مع سماع كلامه لاشك فى ثبوتها للأنبياء وأنها وقعت فعلا فى عصر النبوات•

قال تعالى مخبرا نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان سيحدث على الروم ثم حدث فعلا فيما بعد : (الم • غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون) (٢)

وقال تعالى فى بيان معجزات موسى عليه السلام : (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم) (٣)

---

(١) انظر صحيح مسلم ، جـ ١ ص ٣٧ • كتاب الايمان•
(٢) الروم : ١ ـ ٤
(٣) البقرة : ٦٠

وقال تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام (قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا ناركونى بردا وسلاما على ابراهيم) (١) .

وفى الحديث الصحيح الذى يبين كيفية نزول الوحى " وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول " (٢)

وفى حديث صحيح آخر فى بيان كيفية بدء نزوله " فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ ، قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم " (٣) .

فالآيات القرآنية والسنة النبوية تشهد على ثبوت تلك الخصائص ووقوعها للأنبياء . الا أننا أنكرنا على الفلاسفة آراءهم التالية :

(١) أن تكون هذه الخصائص صفات فى نفس النبى .

وعندنا انها طارئة ومنحة من الله تعالى وليست صفات ثابتة فى نفس النبى .

(٢) أن تكون نفوس الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه مؤثرة ومصدرا للأفعال الخارقة للعادة التى صدرت منهم .

وعندنا ان الله هو المؤثر الخالق لتلك الأمور فهو الذى أظهرها معجزة على صدقهم ، كما قال (هل من خالق غير الله) (٤) و (الله خالق كل شىء) (٥)

---

(١) الأنبياء : ٦٨ — ٦٩

(٢) صحيح البخارى ، ج ١ ص ٥ باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) فاطر : ٣   (٥) الرعد : ١٦

(٣) ان يكون اطلاع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على المغيبات بالطريقة التى صوروها والكيفية التى زعموها •

ونحن لا نسلم هذه الطريقة لعدم قيام الدليل عليها ولأنها مبنية على امور لا نسلم بثبوتها •

(٤) أن يكون مشاهدتهم للملائكة وسماعهم كلامها بالطريقة التى صوروها والكيفية التى زعموها ، بأن لم يكن لذلك حقيقة فى الخارج بل مجرد تخيل فى قوتهم المتخيلة•

وعندنا ان تمثل الملائكة وسماع كلامها حقيقى وقد شاهدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا كلامها كما ثبت فى السنة الصحيحة •

الفصل الرابع

(اثبات النبوة والرسالة)

أ ـ المعجزة :

(١) معناها

(٢) شروطها

(٣) امكانها

(٤) دلالتها

ب ـ اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :

(١) المسلك الأول : المعجزة

أ ـ القرآن

ب ـ معجزاته الأخرى .

(٢) المسلك الثانى : نشأته وأحواله والظروف التى كان يعيش فيها وحقيقة شريعته وصراعه مع الكفار وانتصاره عليهم .

(الفصـــل الرابـــع)

اثبـــات النبـــوة والرســـالــة

اذا أرسل الله رسوله ليبلغ الناس الدين ويعلمهم الشريعة أيده بالآيات التى تثبت اثباتا قاطعا بأنه صادق ومرسل من عنده • وهذه الآيات لابـــد وأن تكون خارج نطاق طاقات البشر وخارقة للعادة المعروفة والقوانين الطبيعية المألوفة •

وبذلك يعلم قومه بسهولة أنه رسول الله حقا ، وتثبت الحجة عليهـــم ولا يمكنهم انكارها ، اللهم الا تعنتا واصرارا على الكفر بعد وضوح البرهـــان كما حدث الله تعالى عن بعض المعاندين الكافرين المكذبين لموسى عليـــه السلام ، قال : (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين • وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (١)

وهذه الآيات هى المسماة بالمعجزات عند علماء العقيدة •

أ ــ المعجـــزة :

١ ــ معناهـــا :

المعجزة لغة اسم فاعل من أعجز يعجز • والتاء فى آخره للمبالغة كما فى قولهم علامة ونسابة وراوية • وأصل المادة مأخوذ من العجـــز ومعناه الضعف (٢) وعدم القدرة (٣) • قال تعالى : (قال يا ويلـــتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح مـــن النادمين) (٤) • ومعنى المعجز فاعل العجز ،وهو فى الحقيقة اللـــه

---

(١) سورة النمل : ١٣ ــ ١٤ •

(٢) لســـان العرب لابن منظور • مادة : عجز • فصل العين من حرف الزاى • طبعة بولاق • جـ ٧ ص ٢٣٦ •

(٣) تاج العروس للزبيدى • مادة : عجز • فصل العين فى باب الزاى • جـ ٤ ص ٤٩ •

(٤) سورة المائدة : ٣١

سبحانه وتعالى . وفى تسمية الآيـة الخارقة للعادة الدالـة على صـدق الأنبياء والرسل معجـزة تجوز . وانما سميت به لأن خصوم الأنبياء ظهـر عجزهم من معارضـة الانبياء بالاتيان بأمثالها .(١)

واختلفت عبارات علماء العقيدة فى تعريف المعجزة ، الا أنها تدور حـول مفهوم واحـد وهو ما قصد به اظهار صدق المدعى للنبوة من الأمـور الخارقـة للعادة .

ولهم فى ذلك طريقان . فبعضهم عرف المعجزة بذكر صفاتها المميزة لها عن غيرها . ومنهم : الباقلانى ، وامام الحرمين الجوينى ، والصابونى ، والطوسى ، وبعضهم عرفها بمفهومها بقطع النظر عن صفاتها المميزة لها ولم يذكرها صراحـة فى التعريف بل جعلها شروطا لها . ومنهم: القاضى عبدالجبار والآمدى والايجـى .

١ـ قال الباقلانى من الأشاعرة فى تعريف المعجزة :

" هى أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبيـاء وتحديهم للأمم بالاتيان بمثل ذلك "(٢)

٢ـ وقال امام الحرمين الجوينى من الأشاعرة أيضا فى تعريفها :

" هى أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة الظاهرة على حسـب دعوى النبوة "(٣)

---

(١) الارشاد ، لامام الحرمين الجوينى . تحقيق : د . محمد يوسف موسى وعلى عبدالمنعم عبدالحميد ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م . ص : ٣٠٨ ـ وراجع أيضا : أصول الدين لأبى منصـور البغدادى ص ١٧٠ ـ وأيضا : غايـة المرام فى علم الكلام ، لسيـف الدين الآمدى ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣

(٢) الانصاف ، له ، تحقيق : محمد زاهد الكوثرى ، مؤسسة الخانجى ، ـ الطبعة الثانية ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م . ص ٦١

(٣) لمع الأدلـة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ، له ، تحقيق : د . فوقية حسين محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ص ١١٠

٣ ـ وقال نور الدين الصابونى من الماتريدية مبينا لها :

" والمعجزة ما يظهر عجز الخلق عن الاتيان بمثله " .

ثم قال : " وحده عند المتكلمين ظهور أمر بخلاف العادة على يدى مدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين على الاتيان بمثله " (١)

٤ ـ وقال الطوسى من الشيعة فى بيان طريق معرفة صدق النبى :

" وطريقة معرفة صدقه ظهور المعجزة على يده . وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفى ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى " (٢)

وهذه العبارات المذكورة اتفقت على كون المعجزة أمرا خارقا للعادة ظهر على يد من يدعى النبوة .

ثم اختلفت فيما سوى ذلك . فالباقلانى وامام الحرمين والطوسى أدخلوا فى التعريف مطابقته لدعواه ، بينما لم يذكره الصابونى . والصابونى ذكر فى تعريفه عجز المنكرين عن الاتيان بمثله ، بينما لم يذكره الآخرون .

ومما ذكر تبين أن هذه التعاريف ناقصة وغير مرضية . فعجز الخصوم عن المعارضة بالاتيان بمثله أمر جوهرى فى المعجزة ولم يذكره الباقلانى وامام الحرمين والطوسى . فصدور الخارق للعادة لا يعتبر معجزة الا اذا عجز الخصوم المنكرون عن الاتيان بمثله . وكذلك مطابقة الدعوى جزء لا يتجزأ من مفهوم المعجزة وقد أهمله الصابونى

---

(١) كتاب البداية من الكفاية فى الهداية فى أصول الدين ، له ، تحقيق : د . فتح الله خليف . دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م ص ٨٨

(٢) تجريد الاعتقاد ، له ، طبع مع شرحه : كشف المراد للحلى (٧٦٢ هـ) مكتبة المصطفوى ، قم ، ايران ص ٢٧٥ .

فصدور الخارق لا يمكن أن يكون تصديقا لصاحبه الا اذا كان مطابقاً لدعواه •

كما أن عبارة الباقلاني وامام الحرمين " أفعال الله تعالى " لايدخل فيها ما ليس فعلا بأن كان تركا للفعل مع أن المعجزة قد تكون فعلا وقد تكون تركا للفعل •

٥ـ وقال الجلال الدواني وهو يعرف المعجزة :

" هى أمر بخلاف العادة على يد من يدعى النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا يمكنهم معارضته "(١)

وهذا التعريف سلم مما ورد على التعاريف السابقة • فقد ذكر فيه كون المعجزة أمرا خارقا للعادة صدر ممن يدعى النبوة ، وأن المنكرين لا يمكنهم الاتيان بأمثالها ، كما أن قوله : " على وجه يدل على صدقه " يتضمن كونه مطابقة لدعواه ، وأن قوله " أمر " يدخل فيه ما هو فعل وما ليس بفعل •

الا أن قوله " على وجه يدل على صدقه " يمكن أن يستغنى به عن ذكر جميع خصائص المعجزة من كون الأمر خارقا للعادة وأن المنكرين يعجزون عن الأتيان بمثله وغير ذلك • فالأمر الصادر من المدعى للنبوة لا يمكن أن يكون دالا على صدقه الا اذا كان خارقا للعادة مطابقا لدعواه ويعجز المنكرون عن الاتيان بمثله الى غير ذلك من جميع خصائص المعجزة •

وهذا هو عيب هذا التعريف • فالأولى منه بعد أن ذكر الجنس بقوله " أمر ظهر على يد من يدعى النبوة " أن يذكر الفصل "على وجه يدل على صدقه " ويكتفى به ولا يذكر معه خصائص المعجزة صراحة ، أو أن يذكرها جميعها ويكتفى بها من غير أن يذكر قوله ذلك •

---

(١) شرح العقائد العضدية ، له ، طبع مع حاشية الشيخ محمد عبده تحت عنوان : الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق : د • سليمان دنيا • دار احياء الكتب العربية ، ط أولى ، القاهرة ١٩٥٨م / ١٣٧٧هـ جـ ٢ ص ٦٣٥

ويلاحظ على جميع هذه التعاريف أنها لم تأت بجميع خواص المعجزة بل اقتصرت على بعضها .

٦- أما القاضي عبد الجبار المعتزلي فقد قال مبينا معنى المعجزة اصطلاحا:

" فهو الفعل الذي يدل على صدق المدعي للنبوة "(١)

وهذا التعريف وإن خلا من الأشياء التي وردت على ما سبق من التعاريف لأنه أخذ في مفهوم المعجزة أن تكون دالة على صدق من يدعي النبوة ولا يمكن ذلك الا اذا كانت خارقة للعادة مطابقة لدعواه ويعجز الخصوم عن الاتيان بمثلها الى غير ذلك من الشروط اللازمة لها ، لكن يلاحظ فيه أنه لم يذكر الا الفعل فقط في مفهوم المعجزة ، مع أنها أعم منه ، فقد تكون فعلا وغير فعل .

٧- وأحسن منه ما قاله الآمدي في تعريفها :

" وأما حقيقة المعجزة فهي كل ما قصد به اظهار صدق المتحدي بالنبوة المدعي للرسالة "(٢)

٨- ومثله التعريف الذي قاله الايجي .

" وهي عندنا ما قصد به اظهار صدق من ادعى أنه رسول الله "(٣)

فما قاله كل من الآمدي والايجي تعريف جامع مانع فقد أخذ كل منهما مفهوم المعجزة واقتصر في تعريفه لها عليه وهذا المفهوم لا يتحقق الا بما يأتي من الشروط الآتية اللازمة للمعجزة.

ومما ذكر تبين ان تعريف كل من الآمدي والايجي سالم من جميع الأمور التي استشكلت في التعاريف السابقة .

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، له ، ص ٥٦٨ .
(٢) غاية المرام في علم الكلام ، له ، ص ٣٢٣ .
(٣) المواقف ، له ، مع شرحه للجرجاني ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ .

ولذلك اخترناه • وعبارة الايجى أحسن لايجازها مع عدم الاخلال بالمعنى •

٢ـ شروطها :

عرفنا مما سبق ان المعجزة دليل على صدق مدعى النبوة والرسالة ومن هنا عرفت بأنها أمر قصد به اظهار صدق من ادعى على النبوة والرسالة • ولا يمكن أن تؤدى هذا الهدف وهذه الغاية الا بشروط خاصة فليس كل أمر يصلح لأن يكون دليلا على أمر آخر ، لا سيما اذا كان المدلول أمرا خطيرا مثل النبوة والرسالة •

وقد بحث علماء العقيدة فى شروط المعجزة وبينوها وذكر الايجى والجلال الدوانى أنها سبعة أمور • وهى :

١ـ أن يكون فعلا لله تعالى أو عدم الفعل منه•

٢ـ وأن يكون خارقا للعادة•

٣ـ وأن تتعذر معارضته•

٤ـ وأن يكون ظاهرا على يد من يدعى النبوة•

٥ـ وأن يكون موافقا للدعوى •

٦ـ وأن لا يكون مكذبا له•

٧ـ وأن يكون مقارنا للدعوى•(١)

أما الشرط الأول :

وهو أن يكون فعلا لله تعالى أو عدم الفعل منه ، فالمراد بذلك أن تكون المعجزة فعلا يقع من قبل الله تعالى بأن لم يكن مما صح لمدعى

---

(١) المواقف ، للايجى ،طبع مع شرحه للجرجانى ،ج ٣ ص ١٧٧ـ١٨٠ وأيضا : شرح العقائد العضدية ، للجلال الدوانى ، ج٢ صـ ٦٣٥ وانظر ايضا : العقيده النظاميـة ،لامام الحرمين ،ص٤٨ـ٥١

النبوة أو غيره من البشر أن يفعله من الأمور التى فى امكانهم أن يفعلوه عادة ، وذلك مثل احياء الموتى وابراء الأكمه . أو أن تكون المعجزة عدم صدور الفعل من الله تعالى ، بأن يقول مثلا : معجزتى أن أضع يدى على رأسى وأنتم لا تقدرون عليه ، ففعل وعجزوا ،فان ذلك معجزة له ولا فعل لله ، لأن عدم خلق القدرة ليس فعلا . أما اذا كان من قبل غيره تعالى بأن صح لصاحب الدعوى أو لأحد غيره أن يفعل ذلك فلا يكون معجزة له .

فان قيل : ما جدوى هذا الشرط لأهل السنة مع أنهم يرون أن الخالق لكل شيء هو الله تعالى ولا خالق غيره ، حتى يشترط أن يكون الفاعل للمعجزة هو الله تعالى .

فالجواب : أن أفعال الله تعالى قسمان : فعل لا تتعلق به قدرة العبد ولا اختياره ، كخلق السموات والأرض وما فيها وفعل تتعلق به قدرة العبد واختياره وان لم يكن العبد خالقه كحجه وصومه وصلاته . فالمراد بالشرط المذكور هنا أن تكون المعجزة من قبيل القسم الأول من فعل الله تعالى بحيث لا تتعلق به قدرة العبد ولا اختياره . فكان الشرط لازما .

وانما اشترط ذلك فى المعجزة لأنها تصديق من الله تعالى لنبيه ، فلا يعقل أن يحصل التصديق الا من قبله عز وجل . لأنه هو الذى يعنيه صدق مرسله .

<u>والشرط الثانى :</u>

أن يكون خارقا للعادة بأن لم يكن من الأمور العادية التى اعتاد الناس على مشاهدة ظهورها فى وقت معين لكونها من سنن الله تعالى فى الطبيعة كطلوع الشمس من المشرق وغروبها فى المغرب .

وذلك لأنها لو لم تكن كذلك لا يمكن أن تدل على صدق مدعى النبوة . فالأمور العادية مشتركة بين الأنبياء وغيرهم ، حدثت للأنبياء

وحدثت لغيرهم واعتاد الناس على ظهورها سواء وجدت الدعوى بالنبوة أم لم توجد ، فلا يجوز أن تكون دليلا على صدق الأنبياء ، لأن الدليل يجب ان يكون مختصا بمدلوله ، فاذا لم يكن كذلك لا يتم كونه دليلا له وإذا ثبت اعتبار خرق العادة شرطا فى المعجزة فما المراد بالعادة ؟ هل هى عادة المخاطبين بالنبوة أى عادة من يكون النبى مرسلا اليهم وتكون المعجزة آية عليهم ؟ أو هل هى عادة لجميع الناس ؟

ذهب القاضى عبد الجبار من المعتزلة والشهرستانى من الأشاعرة الى أن المراد بالعادة هنا عادة المخاطبين بالنبوة ممن أرسل النبى اليهم ولا عبرة بعادة غيرهم.

قال القاضى عبد الجبار فى المغنى .

" واعلم ان من حق المعجز ان يكون واقعا من الله تعالى حقيقة او تقديرا وأن يكون مما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه "(١)

وقال فى موضع آخر منه :

" ان من حق نقض العادات ان يظهر فيمن العادة عادة له .... فمتى ظهر المعجز على الرسول - والحال هذه - ينقض تلك العادة فيجب كونه دالا للوجه الذى بيناه فى دلالة المعجزات" . ثم قال : " يبين ذلك ان عادة غيرهم لا يعتد بها "(٢)

وهذا النص من القاضى عبد الجبار صريح فى أن المعتبر عنده عادة القوم الذين أرسل النبى اليهم ولا عبرة بعادة غيرهم.

وقال الشهرستانى :

---

(١) المغنى ، جـ ١٥ ص ١٩٩

(٢) نفس المصدر ، جـ ١٥ ، ص ١٨٩ .

" والمعتبر فى كون الآية حجة أن يكون ذلك نقضا لعادة من كانت الآية حجة عليه والعادة عادة له • وكذا لو ادعى النبى مدا وجزرا فى جيحون كان ذلك حجة لأنه نقض لعادتها وان كان معتادا لأهل البصرة • وكذلك لو قال أية صدقى ان ينبت الله نخيلا بخراسان كان ذلك أية معجزة له "(١) •

وكلام الشهرستانى واضح فى أن المعتبر عنده عادة الذين أرسل النبى اليهم وان لم تكن عادة لغيرهم • ~~كما يبدو واضحا فى المثال الذى جاء به الشهرستانى ان النقض لابد أن يكون عند جميع الناس فمد وجزر نهر جيحون يعتبر نقضا للعادة ليس عند أهل جيحون فحسب بل عند سائر الناس أيضا ونبت النخيل فى خراسان يعتبر نقضا للعادة ليس عند أهل خراسان فحسب بل عند جميع الناس•~~

ويرى ابن تيمية معارضا للرأى السابق ان معجزة الأنبياء لابد أن تكون خارقة لجميع العادات ما عدا عادة الأنبياء•

قال فى كتابه النبوات :

" النبوة لها خواص مستلزمة لها تعرف بها ، وتلك الخواص خارقة

---

(١) نهاية الاقدام ، للشهرستانى ، ص ٤٣٩

لعادة غير الأنبياء وان كانت معتادة للأنبياء فهى لا توجد لغيرهم" ثم قال :

" فاذا أتى مدعي النبوة بالأمر الخارق للعادة الذى لا يكون الا لنبى لا يحصل مثله لساحر ولا كاهن ولا غيرهما كان دليلا على نبوته "(١)

وبين ابن تيمية ان الخارق الذى يخرق عادة غير الأنبياء هو الذى جنسه خارج عن مقدور البشر وجنس الحيوان • أما الخوارق التى لا يخرج جنسها عن مقدورها فليست بآية الأنبياء بل خوارق مخالفيهم من السحرة وغيرهم•

قال فى كتابه المذكور :

" جنس ايات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر بل وعن مقدور جنس الحيوان • واما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان فانها من جنس افعال الحيوان من الانس وغيره من الحيوان والجن مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره• فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر وغير السحر • وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية او غير ذلك حتى تطير به • وطيرانه فى الهواء من بلد الى بلد هذا فعل مقدور للحيوان • فان الطير تفعل ذلك والجن تفعل ذلك "•(٢)

هذا رأى ابن تيميه ، وحاصله ان الخارق لابد ان يكون خارقا لعادة البشر وعادة غير البشر من الجن والحيوان • فلو طار انسان مثلا فلا يعتبر ذلك خارقا معجزا لأن الطير تطير ، ولو أتى بعرش ملك من بلد الى بلد فى لحظة قليلة فلا يعتبر خارقا معجزا لأن الجن يفعل ذلك كما حدث بعرش بلقيس•

---

(١) النبوات ، ص ٢٠
(٢) نفس المصدر ، ص ٥

ويبدو لي أن الحق مع الشهرستاني وأنه لا يشترط ان تكون المعجزة خارقة لجميع العادات . بل متى كانت خارقة لبعض العادات كانت دليلا على صدقه . ~~الا أنه لابد أن يكون الخرق عند جميع الناس~~ . وذلك لأن المعجزة انما صدرت من النبي لتكون دليلا على صدقه واذا تحدى النبي قومه وصدر منه خارق لعاداتهم علم هؤلاء انه صادق في دعواه .

والشرط الثالث :

ان تتعذر معارضته بأن لم يكن في مقدور قوم النبي أن يأتوا بمثله معارضين به معجزته . فان كان الأمر مما يقدر قومه على فعل مثله فلا يكون معجزة له . مثل معجزة موسى عليه السلام قلب العصا حية لم يقدر سحرة فرعون أن يأتوا بمثله معارضين به اياها ، فعرفوا صدقه وآمنوا به .

قال تعالى في بيان تلك القصة :

(قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى . فأجمعوا كيدكم ثم أتوا صفا . وقد أفلح اليوم من استعلى . قالوا يا موسى اما أن تلقي واما ان نكون أول من ألقى . قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى . فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف انك أنت الأعلى . وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى) (١)

---

(١) طه : ٦٣ — ٧٠

وانما يشترط ذلك لأن المعجزة اذا كان مما يمكن معارضته بأن استطاع الخصوم أن يعملوا مثلها لا يمكن أن تكون آية دالة على صدق صاحبها ، لأنها والحالة هذه من الأمور المشتركة بين صاحبها وخصومه ولا تكون مختصة به ، فلا تكون دليلا على نبوته ولا يمكن أن تقنع خصومه على الايمان به وتصديقه ، وتفقد بذلك الغاية المقصودة من صدورها من صاحبها .

والشرط الرابع :

أن يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة :

فلو ظهر الخارق للعادة في يد من لم يدع النبوة لا يسمى معجزة . فمثلا لو ظهر في يد بعض المسلمين خارق للعادة لا يقال ذلك معجزة بل سمي كرامة .

وانما اشترط ذلك لأن المعجزة انما صدرت لتكون دليلا على نبوة صاحبها فلو لم يدع صاحبها النبوة فلا معنى لكونها معجزة له تدل على صدق نبوته .

والشرط الخامس :

أن يكون موافقا لدعواه ، بأن ظهرت معجزته غير مخالفة لما ادعاه من قبل . فمثلا : لو ادعى أن معجزته احياء الموتى فلابد أن يكون الاحياء هو الخارق الذي حصل له . فلو فعل خارقا آخر لا يكون ما فعله معجزة له تدل على صدق نبوته .

وذلك لأن المعجزة انما صدرت من صاحبها لتدل على صدق نبوته ، ولا يتم ذلك الا اذا كانت موافقة لدعواه . فان لم تكن موافقة لدعواه بأن ادعى أن معجزته ابراء الأكمه فصدر منه قلب العصا حية مثلا لم يكن ذلك معجزة تدل على صدقه لأن صاحبه نفسه لم يجعله آية له ولم يعتبره دليلا

على صدق نبوته ، اذن كيف نعتبره دليلا عليه ؟!
نعم ، لو لم يعين معجزة بخصوصها بأن قال : لي معجزة تشهد بصدقي ، فأي خارق يحصل يكون معجزة مصدقة له.

والشرط السادس :

ان لا يكون مكذبا له .
فلو قال مثلا : معجزتي ان ينطق هذا الضب ، فنطق وقال : انه كاذب ، لم يكن معجزة له ولم يعلم به صدقه ، بل ازداد اعتقاد كذبه.

وهذا الشرط واضح ، لأن المعجزة صدرت من صاحبها لتكون اية على صدقه . فلو طلعت مكذبة له لم تكن دليلا على صدقه بل انقلبت دليلا على كذبه.

نعم ، لو قال : معجزتي ان أحيي هذا الميت ، فأحياه فكذبه ، فلا يخرج بذلك عن كونه معجزا ، لأن المعجز احياءه وقد حصل ، وهو بعد ذلك مختار بين تصديقه وتكذيبه ولم يتعلق به دعوى.

ففي هذا المثال المعجزة هي الاحياء ، والاحياء ليس مكذبا له . أما كلام الميت بعد احياءه فليس معجزة بل أمر عادي . فالتكذيب لم يكن من المعجزة بل هو أمر عادي (١) .

والشرط السابع :

ان يكون مقارنا للدعوى ، بأن لا يكون متقدما عليها ولا متأخرا عنها بزمن غير يسير لا يعتاد عليه.

وذلك لان المعجزة تصديق لصاحبها والتصديق لابد ان يكون بعد الدعوى ولا يعقل أن يكون قبلها .

---

(١) انظر : الارشاد لامام الحرمين ، ص ٣١٥

واما المتأخر فان كان التأخر بزمن يسير يعتاد مثله فظاهر ولا اشكال في ذلك • وان كان بزمن بعيد بأن قال : معجزتي أن أحيي هذا الميت ، فلم يحى الا بعد سنوات ، فلا يكون معجزة له دالة على صدقه • لأن الأمر والحالة هذه يبعث الريب في القلب هل حصلت حياة ذلك الميت لتكون آية دالة على صدقه أم حصلت لأجل أمر آخر • ومثل ذلك يتنافى مع وظيفة المعجزة الاساسية وهي تصديق نبوة صاحبها •

وقد يعترض على ذلك بما وقع لعيسى عليه السلام ، فقد كان يتكلم في المهد قبل بعثته نبيا •

قال تعالى : (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا • قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا • وجعلني مباركا اين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) (١) •

فكيف يشترط أن لا تكون متقدمة على الدعوى ؟

كما يعترض ايضا بما وقع في آخر الزمان من اشراط الساعة مثل طلوع الشمس من المغرب وغيره • فهذه الخوارق

---

(١) مريم : ٢٩ ـ ٣١

تدل على نبـوة نبينا محمـد صلى الله عليه وسلم وصدقه فى دعـــواه .
وهى متأخرة عن ظهوره صلى الله عليه وسلم ودعواه بقرون عديدة .

فكيف يشترط عدم التأخر تأخرا طويلا ؟

وأجيب عن الأول : بأن ذلك كرامة لعيسى عليه السلام وارهـاص له وتمهيد لدعوته . والكرامة يجوز ظهورها لغير الأنبياء من عبـاد الله الصالحـين .

هذا على القول بأن عيسى عليه السلام لم يكن نبيا حينذاك وأن المراد بقوله تعالى (وجعلنى نبيا) أى جعلنى فى المستقبل . أما على القـول بأنه كان نبيا منذ صباه ، فلا اشكال ولا اعتراض .

وأجيب عن الثانى بأن اشراط الساعة تدل على نبوة سيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم وصدقه فى دعواه ــ كما ذكرتم ــ لأنه أخبر بهـا قبل وقوعها ، فكان من باب الاخبار بالغيب . فالاعجاز ليس فى وقوعهـا ، وانما فى الاخبار بوقوعها قبل أن تقع . وهذا الاخبار مقارن للدعـوى وليس متأخرا عنـه .(١)

---

(١) أنظر . المواقف وشرحه ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ ــ ١٨٠

٣ — امكانهـــا : الغرابة

المعجزة ليس فيها من الغرابة سوى أن يخالف الله تعالى عادتـه في أمر من الامور فيحققه على خلاف العادة ايذانا بأن من ظهرت المعجزة على يده صادق في دعواه النبوة . فهل تحقيق الشيء على خلاف العادة مستحيل ؟ كلا . ان معنى كون الشيء عاديا أن يتحقق مرات عديدة على نمط واحد . فهل اطراد الشيء على نمط واحد يوجب أن لا يتحقق على خلاف ذلك النمط ؟ هل هذا الاطراد يوجبه العقل حتى لا يمكن أن يتخلف ؟ كلا .

نحكم بأن الجسم يجب أن يتحيز في كل الأزمان والأحوال . هل هذا الحكم نتيجة لاطراد التحيز في كل جسم أم هو نتيجة لمنزع عقلي هـــو أن الجسم ماله طول وعرض وعمق ، فيجب عقلا لهذه الأبعاد أن يتحيز . فهنا باعث عقلي من أجله جزم العقل بأن الجسم يجب أن يتحيز حـــتى اذا لم يتحيز لزم محال واضح وهو أن الجسم لا يكون جسما .

فهل اطراد تحقق الشيء على نمط واحد يصلح باعثا للعقـــل على الحكم بأنه يمتنع أن يتحقق ذلك الشيء على خلاف هذا النمـــط كالباعث على وجوب التحيز للجسم ؟ كلا .

فالأكمه جرت عادة الله تعالى ان لا يخلق فيه العين المبصـــرة بعد أن ولد أكمه . فهل هذه العادة تصلح مانعة أن يخلق الله تعالى فيه عينا مبصرة ؟ كلا .

فقد خلق الله تعالى في ملايين الناس عيونهم وهم في بطون أمهاتهم . أفلا يمكن ذلك بعد ولادتهم . وغاية ما يلزم من ذلك أن يصير الأكمه مبصـــرا بعد أن كان أكمه . وأي استحالة في هذا .

كذلك عصا موسى كسائر العصي قطعة من الخشب جرت عـــادة الله ان لا تكون فيها الحياة . فهل اطراد عدم الحياة فيها يصلح باعثـــا

يحكم العقل من أجله ان لا يخلق الله تعالى الحياة فى عصا من العصى ؟ ليس هناك أى باعث عقلى يوجب ذلك • فاذا خلق الله تعالى الحياة فى عصا من العصى لم يلزم أى محال كما لزم فى عدم تحيز الجسم فقد لزم منه أن لا يكون الجسم جسما ، أما العصا فجسم خشبى خال من الحياة وقد جرت العادة بذلك فاذا خلق الله تعالى فيها الحياة كان جسما حيا وأى محال فى هذا فكل حى من الماديات جسم ذو حياة •

هذا وان مخالفة العادة ليست ممكنة فحسب بل هى أيضا أمر واقع ، فبعض المرضى يمتنعون عن الأكل مدة لو لم يأكلوا فيها وهم أصحاء لهلكوا مع وجود العلة التى تزيد فى ضعفهم وتساعد الجوع على الهلكة •

فان قيل : لعل هناك ناموسا طبيعيا وسنة جارية خاصة ببعض الأمراض والمرضى تقتضى بقاء هؤلاء المرضى بدون طعام •

قلنا : يجوز أيضا ان يكون للمعجزات ناموس آخر عادى خاص بالنبوات والأنبياء لا نعرفه بل نرى أثره فيمن اصطفاهم الله تعالى للرسالة •

وقال المنكرون امكان المعجزة : ان تجويز الخوارق سفسطة واضحة لأنها لو جازت لجاز أن ينقلب الجبل ذهبا والبحر دما وهذا باطل •

والجواب : ان هذا استدلال فاسد لا ينهض حجة على امتناع خوارق العادات ، لأن انقلاب الجبل ذهبا جائز لا استحالة فيه • وليس هناك من شبهة على تلك الاستحالة المزعومة الا عدم انقلاب الجبل بالفعل ذهبا ، ولكن هل عدم الشىء يصح دليلا شاهدا على امتناعه ؟ وكيف يصح ذلك وقد خلق الله تعالى الانسان بعد عدمه أزمانا متطاولة (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا • انا خلقنا الانسان من

نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا)(١)

وهل انقلاب الجبل ذهبا أبعد من خلقه بدأ ؟

وبعد • فمن الاوليات المسلمة عند الجميع ان الفرق بين العاديات والعقليات ان الأولى يجوز فيها العقل التخلف دون الثاني • فتناول الطعام قد لا يعقبه شبع بخلاف الأثر فلابد له من مؤثر •

وأخيرا فقد تواتر الخبر مستوفيا شروطه بوقوع المعجزات على يد بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كابراهيم وموسى وعيسى •

وها هى المعجزة الخالدة بين أيدينا ، ذلك الكتاب العظيم الذى تحدى به خاتم الأنبياء قومه فعجزوا عن معارضته • (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين • فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين)(٢) •

فكيف بعد هذا يجرؤ انسان على القول باستحالة المعجزات ؟!

وخلاصة القول ان المعجزة ليست من الأمور المستحيلة بل هى ممكنة عقلا • فلله السموات والأرض وما فيها • وله ان يتصرف فيها بما يشاء ويريد وارادته مطلقة لا تتقيد بقانون طبيعى أو عادة جارية • قال تعالى : (بل له مافى السموات والأرض كل له قانتون)(٣) وقال (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء)(٤) • وقال (ان ربك فعال لما يريد)(٥) •

---

(١) الانسان : ١ ـ ٢ •
(٢) البقرة : ٢٣ ـ ٢٤ •
(٣) البقرة : ١١٦ •
(٤) المائدة : ١٧ •
(٥) هود : ١٠٧ •

٤ — دلالتهـــا :

قد بينـا فيما سبق ان المعجزة تدل على صدق صاحبها فى دعواه الرسالة والنبوة • وهذه مسألة لا خلاف فيها بين المسلمين • ولكن هــل دلالتها على صدق صاحبها عقلية او عادية ؟ اى هل يمكن تخلــف الصدق عنها عقلا اولا يمكن ؟ فالمراد بالعقلية انه لا يجوز تخلف المدلول عن الدليل عقــلا •

والمراد بالعادية عكس ذلك أى يجوز عقلا تخلفه عنها •

وفى الحقيقة ان المسألة مبنية على مسألة أخرى وهى هل ظهـــور المعجزة على يد الكاذب جائز أولا ؟

١ — أما جمهور الأشاعرة فقد قالوا : ان ظهور المعجز على يد المدعـــى للنبوة كذبا ممكن عقلا • فعندهم يجوز عقلا لله تعالى ان يظهر علـــى يد من يدعى النبوة كذبا — كمسيلمة مثلا — خارقا للعادة يكون معجــزة له على حسب ما ادعاه ، الا انه جرت سنة الله فى هذا الكون ان لايحدث ذلك الأمر • وحينئذ يكون ذلك مثل غروب الشمس فى المشرق •
يجوز عقلا لله تعالى أن يجعل غروبها فى المشرق لكون ذلك داخـــلا فى قدرة الله المطلقة ، ولكن سنة الله جرت على غروبها فى المغرب • أما غروبها فى المشرق فمنتف عادة وان جاز عقلا •

وبناء على هذا قالت الأشاعرة : ان دلالة المعجزة على صدق — صاحبها فى دعواه الرسالة والنبوة ليست عقلية بل عادية بمعنى ان العـادة التى أجراها الله فى خلقه ان يخلق العلم لدى المرسل اليهم بصدق الرسول عقب ظهور المعجزة على يده • فيمكن عقلا — عندهم — تخلف الصدق عنـــه وان كانت العادة جرت على عدم التخلف •

وأيدوا قولهم بما سوف يقع عند قيام الساعة • فاشراط الساعة وما يقع عند

قيامها خوارق للعادة ، ومع ذلك لا يدل ظهور هذه الخوارق على صدق أي مدع للنبوة (١) .

٢ـ وأما الأشعري ومن تبعه من الأشاعرة خلافا لجمهورهم فقد قالوا في مسألة ظهور المعجز على يد الكاذب انه غير جائز عقلا لأن للمعجزة دلالة قطعية على الصدق يمتنع التخلف فيها ، فلابد لها من وجه دلالة اذ به يتميز الدليل الصحيح عن غيره وان لم نعلم ذلك الوجه بعينه . فان دل المعجز المخلوق على يد الكاذب على الصدق كان الكاذب صادقا ، وهو محال ، والا انفك المعجز عما يلزمه من دلالته القطعية على مدلوله وهو أيضا محال (٢) .

ويتضح من ذلك ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها عند الأشعري ومن تبعه دلالة عقلية وليست عادية .

٣ـ وقالت الماتريدية : ان ظهور المعجز على يد الكاذب مستحيل عقلا لأن ذلك يوجب التسوية بين الصادق والكاذب وعدم التفرقة بين النبي والمتنبي ، وهو سفه لا يليق بالله الحكيم (٣) .

ومقتضى ذلك ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها ـ عندهم ـ دلالة عقلية لا يجوز عقلا تخلف الصدق عنها ، وليست عادية .

٤ـ وقالت المعتزلة : ان خلق المعجز على يد الكاذب مقدور لله تعالى لعموم قدرته ، لكنه ممتنع وقوعه في حكمته ، لأن فيه ايهام صدقه ، وهو اضلال قبيح من الله فيمتنع صدوره عنه (٤) .

---

(١) المواقف للايجي وشرحه للجرجاني ، جـ ٣ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
وأيضا : المقاصد وشرحه للتفتازاني ، جـ ٢ ص ١٣٢

(٢) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ١٨٢ .

(٣) المقاصد وشرحه ، جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٤) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ١٨٢ .

ومقتضى ذلك أنهم رأوا أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها في دعواه النبوة عقلية وليست عادية • فلا يجوز عقلا تخلف الصدق عنه•

وللقاضى عبد الجبار المعتزلى رأى خاص • فقد أوضح ان المعجزة تنزل منزلة التصديق بالكلام فكأن الله صدق صاحب المعجزة بقوله : صدقت، وتكون دلالتها على صدقه كدلالة الكلام على مدلوله يعنى دلالة وضعية ، الا انها أوضح منه لأن الكلام يحتمل المجاز والاستعارة بخلاف الفعل •

قال فى المغنى :

" تنزل المعجزة منزلة التصديق بالقول • فنقول : اذا صح لو صدقه تعالى عند ادعائه النبوة والرسالة كونه نبيا صادقا ، فكذلك اذا فعل ما يحل هذا المحل من المعجزات ، لأن مجموع قوله " اللهم ان كنت صادقا فيما ادعيت من الرسالة فاقلب العصا حية " ثم وقوع ما سأل عنه مطابقا لمسألته ، بمنزلة المواضعة المتقدمة على التصديق ،بل ذلك أقوى فى بابه ، لأن من حق التصديق بالقول ان يصح فيه ، والحال هذه ، المجاز والاستعارة لأمر يرجع الى ذات الكلام وصحة هذه الطريقة فيه • ولا يتأتى ذلك فى الفعل المخصوص اذا التمسه الرسول من المرسل ليظهر به حاله للمرسل اليه "(١)

ولما كانت الدلالة الوضعية لابد ان يسبقها وضع اتفق عليه من قبل ، كما الحال بالكلام ، ولم يوجد ذلك فى المعجزة ، فقد أجاب القاضى عبد الجبار عن هذا الاشكال بأن طلب الرسول الى الله تعالى ان يصدقه باظهار معجزة معينة ووقوع ذلك عنده بمنزلة وضع تقدم عليها كالوضع الذى فى اللغة•

---

(١) المغنى ، ج ١٥ ص ١٦١

قال في المغني :

" فان قال ان المواضعة في التصديق قد تقدمت وتقررت في النفوس ، فلذلك دل اذا وقع منه تعالى على صدقه فيما يدعيه من النبوة ، وليس كذلك حال المعجز ، لأن المواضعة لم تتقدم ... قيل له : ان التماسه منه تعالى أن يصدقه فيما ادعاه المعجز المعين ووقوع ذلك عنده ، بمنزلة مواضعة تقدمت" (١)

ويتضح لنا من كلام القاضي عبد الجبار ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها ليست دلالة عقلية بل دلالة عادية ، وذلك لأن الدلالة الوضعية من قبيل الدلالة العادية وليست من قبيل الدلالة العقلية .

الا أن القاضي عبد الجبار صرح في موضع آخر بأن تخلف صدق مدعى النبوة عن ظهور المعجزة غير جائز ، لأن ذلك يودى الى القبح من جهته تعالى ، وهو محال على الله عز وجل ، وبما ان امتناع القبح على الله تعالى عقلي ، فان امتناع تخلف الصدق عن ظهور المعجزة كذلك عقلي . ومقتضى ذلك ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية ولا يجوز عقلا تخلفه عنها .

قال في بيان ان المعجزة تدل على الصدق وان عدم دلالتها على الصدق كعدم دلالة التصديق الكلامي منه تعالى على الصدق يعتبر قبحا عليه تعالى : " فان قال : ومن أين أنه لا يجوز منه تعالى في نفس التصديق ان يفعله لغير ما وضع ظاهره له ، وقد علمتم ان ذلك غير ممتنع في الكلام ان يريد به تعالى مرة الحقيقة وأخرى المجاز ؟

قيل له : ان التصديق اذا تجرد عن قرينة ودلالة ، فالواجب حمله على ما وضع

---

(١) نفس المصدر ، ج ١٥ ص ١٦٨

له ، حتى لا يجوز والحال هذه خلافه • وانما يجوز في ظاهر الكلام أن يـــراد به المجاز والاستعارة اذا قارنته الدلالة • فأما اذا تجرد فلا يجوز عندنـــا فيه ذلك ، لأنا لو جوزنا خلافه لم يصح ان نفهم بخطابه جل وعز شيئـا ولأوجـب ذلك كون خطابه تعالى قبيحا • فاذا صح ذلك في التصديق فالواجـــب مثله في المعجز ، بل المعجز في بابه أقوى من التصديق " (١)

ومن هنـا تبين لنا ان القاضي عبد الجبار ـ مثل سائر المعتزلة ـ قال ان دلالة المعجزة عقلية • الا أنه قال ذلك بمسلكه الخاص •

والخلاصـــة :

١ ـ ان جمهور الاشاعرة قالوا ان ظهور المعجزة على يد الكاذب ممكن عقلا ومـن ثم كانت دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عادية وليست عقليـة •

٢ ـ ثم ان الاشعري وبعض الاشاعرة قالوا أن ظهورها على يد الكاذب ممتنـــع عقلا لأنه يؤدي الى انفكاك الدليل عن مدلوله وهو محال ومن ثم كانـــت دلالتها على صدق صاحبها عقليـة •

٣ ـ وقالت الماتريدية ان ظهورها على يد الكاذب محال عقلا ، لأن ذلـــك يؤدي الى وجوب السفـه على الله تعالى وهو محال ، ومن ثم كانـــت دلالتها على صدق صاحبها عقلية •

٤ ـ وأما المعتزلة فقد قالوا ان ظهورها على يد الكاذب جائز في ذاته عقـــلا الا أنه ممتنع وقوعه لأن ذلك قبيح على الله تعالى • ومن ثم كانت دلالتهـــا على صدق صاحبها عقلية •

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١٥ ص ١٧٢ ـ ١٧٣

وكذلك القاضي عبد الجبار قال ان دلالة المعجزة عقلية الا أن مسلكه في اثبات ذلك يخالف مسلك سائر المعتزلة كما تبين فيما سبق ٠

أقول : والذى أذهب اليه أن ظهور المعجزة على يد الكاذب محال عقلا ، لأن ذلك :

أولا — يؤدى الى تصديق الكاذب من الله سبحانه وتعالى ٠ وهو محال عليه تعالى ٠

ثانيا — يؤدى الى التسوية بين الكاذب والصادق والمتنبى والنبى ٠ وهو سفه من الله تعالى محال عليه ٠

وبناء على ذلك تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية ولا يمكن عقلا تخلف الصدق عنها ٠

ثالثا — ان المعجزة اذا كانت دلالتها عادية فليست دلالتها قطعية بل ظنية لأن الدلالة العادية ظنية ٠ وينتج عن ذلك ان النبوة وجميع الأمور التى ورد من الأنبياء من العقائد وغيرها ظنية وليست من الأمور القطعية ٠

وأما ما ذكره من أن خوارق يوم القيامة لا تدل على صدق مدعى النبوة ومعنى ذلك انه يمكن تخلف دلالة المعجزة فغير صحيح ، لأن ظهور الخوارق فى يوم القيامة ليس لتصديق نبوة أى نبى لأنه لا يوجد حينذاك ادعاء النبوة فليست معجزة ٠ اذن فلا يدل ذلك على جواز تخلف المعجزة عن دلالتها على صدق مدعى النبوة ٠

والقول ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية لا يجوز تخلفه عنها وانه لا يمكن عقلا ظهورها على يد المدعى للنبوة كذبا هو ما ذهب اليه ابن تيمية ٠

قال فى كتابه النبوات :

" ان ما يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها فلابد أن يكون مختصا بها لا يكون مشتركا بين الأنبياء وغيرهم ٠ فان الدليل هو

مستلزم لمدلوله لا يجب (١) ان يكون أعم وجودا منه بل اما ان يكون مساويا له في العموم والخصوص او يكون اخص منه . وحينئذ فآية الانبياء لا تكون لغير الأنبياء . " (٢)

وقال في موضع آخر من كتابه :

" فصل في ايات الانبياء وبراهينهم وهي الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم . والدليل لا يكون الا مستلزما للمدلول عليه مختصا به ، لا يكون مشتركا بينه وبين غيره ، فانه يلزم من تحققه تحقق المدلول . واذا انتفى المدلول انتفى هو ، فما يوجد مع وجود الشيء ومع عدمه لا يكون دليلا عليه بل الدليل ما لا يكون الا مع وجوده . فما وجد مع النبوة تارة ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلا على النبوة ، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها " (٣)

وقال في موضع آخر :

" انه لابد ان تكون الاية التي للنبي أمرا مختصا بالأنبياء ، فان الدليل مستلزم للمدلول عليه ، فاية النبي هو دليل صدقه وعلامة صدقه وبرهان صدقه . فلا توجد قط الا مستلزمة لصدقه " (٤)

ويبدو واضحا من كلام ابن تيمية ان ايات الأنبياء - وهي التي سماها علماء العقيدة المعجزات - أدلة نبوتهم وتدل على صدقهم . فهي مستلزمة للنبوة ويلزم من وجودها وجود النبوة ، ولا يمكن ان تتخلف عنها أبدا ، فلا توجد قط الا مستلزمة للنبوة ولصدق صاحبها . اذن كانت دلالتها على النبوة وصدق صاحبها دلالة عقلية .

---

(١) هكذا . ولعل الصواب : لا يجوز .
(٢) النبوات ص ١١
(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

ب — اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الدليل على صدق نبي في دعواه للحاضرين بعثته ما يشاهدونه من الآيات والمعجزات • أما الغائبون عنها فدليلها التواتر وهو اخبار عن محسوس جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن جماعة مثلهم وهكذا الى آخر السند • وعلامة ذلك ان تذعن النفس قهرا الى مضمون الخبر بأن لا يمكن دفعه •

وفي مقام اثبات الرسالات المختلفة نكتفي باثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • فقد قص علينا من الرسل والأنبياء ما شاء الله ان يقص • فبثبوت رسالته ثبتت رسالاتهم ونبواتهم •

والعمدة في اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم كونه ادعى النبوة والرسالة وظهرت المعجزة على يده •

وقد ذكر الايجي أربع مسالك لاثبات نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم :

المسلك الأول : أنه ادعى النبوة والرسالة وظهرت المعجزة على يده • أما ادعاء النبوة والرسالة فقد تواتر الينا • وأما المعجزة فهذا القرآن أمامنا معجزته • كما أن هناك معجزات أخرى تواترت عنه •

والمسلك الثاني : الاستدلال بأحواله قبل النبوة وبعدها وأخلاقه الكريمة وأحكامه الحكيمة وأعماله العظيمة مع ثبات حاله وعدم تلونه في جميع الظروف والأحوال • وان كان كل واحد منها لا يدل على النبوة الا ان مجموعها لا يحصل الا للأنبياء •

والمسلك الثالث : اخبار الأنبياء المتقدمين بانه نبي الله ورسوله ، كما جاء في بعض نصوص التوراة والانجيل الصحيحة •

والمسلك الرابع : انه ادعى الرسالة بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم وقال لهم انه بعث اليهم من عند الله بالكتاب والحكمة وأمر من قبل الله

باكمال الناس فى علومهم وأعمالهم وايمانهم واخلاقهم • ففعل ذلك كله وظهر دينه على الدين كله كما وعده الله • وهذا حقيقة النبوة ولا معنى لها الا ذلك (١) •

اما المسلك الأول فهو أهم هذه المسالك • وهو الطريق لاثبات نبوة أى نبى لأى انسان • فعوام الناس وخواصهم يستطيعون ان يعرفوا ويصدقوا نبوة أى نبى اذا ادعاها وظهرت فى يده المعجزة ، ولا يتوقف هذا التصديق وهذه المعرفة الى معرفة احوال الأنبياء السابقين وأخبارهم أو الى معارف أخرى •

أما المسلك الثانى والرابع فلا يعرف عن طريقهما صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلا الا خواص الناس ممن له علم بما ينبغى أن يتحلى به الانبياء وما يتميزون به عن غيرهم فى احوالهم واخلاقهم وأعمالهم وما جاءوا به فيقارن ما علمه من ذلك بما علمه من أحوال واخلاق واعمال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به •

واما المسلك الثالث فيتوقف على ثبوت نبوة الانبياء السابقين وصحة الاقوال المنسوبة اليهم • واذا لم تثبت أو لم يصح ما نقل عنهم فلا يمكننا ان نسلك هذا المسلك • كما أنه لا ينفع الا لمن آمن بنبوة هؤلاء الأنبياء السابقين •

ولذلك ركزنا كلامنا على المسلك الاول • ونحاول أن نمر على المسلك الثانى والرابع مرورا سريعا مرة واحدة أسوة بما فعله الشيخ محمد عبده • واما المسلك الثالث فنهمله والسبب أننا قد قررنا بأننا عرفنا وصدقنا نبوة ورسالة سائر الانبياء والمرسلين لان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أخبرنا بذلك • فليس منطقيا أن نجعل الأقوال المنسوبة اليهم طريقا لاثبات نبوته ورسالته •

---

(١) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ١٩٠ — ٢٠٤
وانظر ايضا ما كتبه الماتريدى فى كتاب التوحيد ، تحقيق : د • فتح الله خليف ص ٢٠٢ — ٢١٠

١ ـ المسلك الأول : المعجـــــزة

تواتر الينا أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ادعى أنه رسول اللـــه الى أمته فقد جاء بذلك كتب التاريخ سواء التى ألفها المؤرخون المؤمنــون برسالته أو التى صنفها المؤرخون المنكرون لها . فلا مجال لعاقل أن ينكـر ذلك .

كما تواتر الينا أيضا أنه قد ظهرت على يده معجزات كثيرة تدل علـــى صدقه . وأولها القرآن الذى بين أيدينا الكتاب الذى أنزله الله عليه وتحـدى به جميع بلغاء العرب وفصحاءهم فلم يفلحوا فى معارضته .

أ ـ القـــــرآن

والقرآن أبلغ وأعظم معجزاته لأنه معجزة باقية على مر العصور ناطقـــة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى كل زمان وفى كل مكان ، مع ان سائـــر المعجزات الأخرى قد انتهت وذهبت وأصبحت تاريخا وأخبارا .

ولعل الحكمة فى ثبوت هذه المعجزة لرسالة نبينا صلى الله عليه وسـلم دون الأنبياء والرسل السابقين ، أن رسالة سائر الأنبياء والرسل من قبــل رسالة موقوتة بخلاف رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهى باقية الى يـوم القيامة فتحتاج الى معجزة باقية .

ومن وجه اعجاز القرآن ـ كما قاله الجمهور ـ أنه فى أعلى الدرجـــات من البلاغة لا يعهد مثلها . حتى عجز جميع أرباب البلاغة والبيان منذ عصـــر النبوة الى اليوم عن معارضته رغم تحدى النبى صلى الله عليه وسلم لقومه . (١)

نزل القرآن فى عصر يعتبر أرقى عصور عند العرب وأغزرها مادة فى الفصاحة ، وامتاز بين العصور التى تقدمته بوفرة رجال البلاغة والفصاحة . وتواتـــــر

---

(١) أنظر : المقاصد وشرحه ، للتفتازانى ، جـ٢ ص ١٣٥ . وايضا : المواقف وشرحه جـ٣ ص ١٩١–١٩٢ . وأيضا : الانتصار ، للخياط المعتزلى ، ص٢٨ ومابعدها .

الخبر أنهم حريصون على معارضة النبى صلى الله عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه فى الاخبار عن الله واتيانهم ذلك على مبلغ استطاعتهم وقد كان فيهم الملوك والامراء يخافون فى دعوته على عروشهم وفيهم الخطباء والشعراء والكتاب يشمخون بأنوفهم عن متابعته • وقد اشتد هؤلاء فى مقاومته استكبارا عن الخضوع له وتمسكا بما كانوا عليه من اديان آباءهم• وهو مع ذلك يخطىء آراءهم ويسفه احلامهم ويحتقر اصنامهم ويدعوهم الى مالم يعهدوه ويألفوه وتحداهم بالاتيان بمثله أو بعشر سور من مثله او ان يأتوا بسورة مثله •

قال تعالى : (أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) (١)

وقال تعالى : (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) (٢)

وقال تعالى : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين • فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) (٣)

ومع طول زمن التحدى وعناد القوم أصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبة• قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) (٤)

---

(١) الطور : ٣٣ — ٣٤
(٢) هود : ١٣
(٣) البقرة : ٢٣ — ٢٤
(٤) الاسراء : ٨٨

واذا ثبت كل ذلك فلا شك ان القرآن منزل حقا من عند الله وأن الذى نزل عليه رسول الله الى الناس لا سيما اذا عرفنا أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يعلم القراءة والكتابة ولا يدرس شيئا من كتب اهل الكتاب — كما ثبت ذلك فى كتب التاريخ .

ومن وجه اعجازه أيضا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا وكان لايتعلم شيئا من التاريخ والسياسة والشرائع وغيرها من المعارف . فظروفه المادية والعائلية والاجتماعية لا تسمح له بأن يفعل ذلك . ومع هذا جاء بكتاب — هو القرآن — حوى من أخبار الأمم الماضيه ما فيه عبرة للأجيال الحاضرة والمستقبلة أخذ الصحيح منها وترك الاباطيل ونبه وجوه العبرة فيها . حكى عن الانبياء سيرهم وما كان بينهم وبين أممهم وبرأها مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالتهم وأخذ زعماء الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم وما حرفوا بالتأويل فى كتبهم . وشرع للناس أحكاما تنطبق على مصالحهم وظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها وقام بها العدل وانتظم بها شمل الجماعة ثم عظمت المضرة فى اهمالها والانحراف عنها أو البعد بها عن الروح التى أودعته ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعية . ثم جاء بعد ذلك بحكم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب وتنصرف وراءها الهمم .

وجاء فى الكتاب من اخبار الغيب ما صدقته حوادث الكون . كالخبر الذى فى قوله : (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) (١) وقوله : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (٢) وقوله : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) (٣) .

---

(١) الروم : ١ — ٤ (٢) القمر : ٤٥ (٣) الفتح : ٢٧

ومن اطلع على ذلك الكتاب عرف كيف يحوى جميع هذه المعارف والعلوم ، واذا علم ان الذى جاء به أمى لا يعلم الكتابة والقراءة ونشأ فى بيئة جاهلية ليس فيها ظل من التعليم بل سادت بينهم الوثنيات وعبادة الاصنام والحروب لأتفه الاسباب .

لا يشك ان هذا الكتاب نزل من عند الله العليم الخبير على رسوله ليكون حجة له على أمته وهداية لهم فى حياتهم وصدقا لرسالته .

ب ـ معجزاته الاخرى

وقد ظهر على يده صلى الله عليه وسلم معجزات أخرى .
منها ما ذكره القرآن ومنها ما ذكره الاحاديث الصحيحة .
وهذه المعجزات لو لم يتواتر كل واحدة منها فالقدر المشترك وهو صدور معجزة ما منه صلى الله عليه وسلم لا شك فى تواتره .

واذا ثبت تواتره دل على ان من صدر منه رسول الله حقا ونبيه . ومن المعجزات التى ذكرها القرآن :

١ـ الاسراء أثناء الليل من مكة الى بيت المقدس ليريه الله من آياته قال تعالى فى سورة الاسراء (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا . انه هو السميع البصير)[1] .

وهذه المعجزة رواها البخارى فى صحيحه عن انس بن مالك رضى الله عنه مفصلة[2] .

٢ـ ان الله أمده واصحابه بالملائكة فى غزوتى البدر والأحزاب . أما امداده بهم فى غزوة بدر فقد ذكر فى سورة ال عمران . قال تعالى :

---

(١) الاسراء : ١
(٢) صحيح البخارى ج ٥ ، ص ٦٦ ـ ٦٩ .

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون • اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) (١)

واما امداده بهم فى غزوة الأحزاب فقد ذكره فى سورة الأحزاب • قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) (٢)

٣ — اخباره بحوادث ستقع فى المستقبل فوقعت فعلا كما أخبر • ومنها انتصار الروم على الفرس •

وكان الفرس هزموا الروم واستولوا على الشام وغيرها من المناطق التى كانت تحت سلطة الروم • وهذا أمر يسر المشركين لأن الفرس كانوا مجوسا وليس لهم كتاب والروم من أهل الكتاب • فاعتبر المشركون انتصار الفرس انتصارا لهم وانهزام الروم انهزاما للنبى واتباعه • فأخبر أن الروم سيهزمون الفرس بعد بضع سنوات • وقد شهد التاريخ أن ذلك وقع فعلا فيما بعد •

قال تعالى مشيرا الى ذلك (الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) (٣)

ومنها أن المؤمنين سيدخلون المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين ولا يخافون من أعدائهم — وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك للمؤمنين عام الحديبية قبل سنتين من وقوع فتح مكة • وصدق ووقع ما أخبرهم به •

---

(١) آل عمران : ١٢٣ — ١٢٥
(٢) الأحزاب : ٩
(٣) الروم : ١ — ٤

قال تعالى في بيان ذلك : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) (١)

أما المعجزات التي ذكرتها الاحاديث الصحيحة ، فمنها :

١ — نبع الماء من بين أصابعه ، وهذه المعجزة وقعت في صور عديدة رواها جمع من الصحابة ، ومنهم أنس بن مالك وجابر بن عبد الله ، روى — البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :

(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضأوا ، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم) (٢)

وروى أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة (٣) فتوضأ فجهش (٤) الناس نحوه ، فقال : مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة) (٥)

---

(١) الفتح : ٢٧

(٢) صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٢٣٣ ، كتاب علامات النبوة في الاسلام

(٣) اناء للماء من جلد

(٤) أقبل ،

(٥) صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٢٣٤ ، كتاب علامات النبوة في الاسلام ،

٢ـ ومنها اشباع الناس الكثير من الطعام القليل •

روى ذلك عن أنس بن مالك وغيره فى حوادث متعددة (١) روى البخارى عن أنس رضى الله عنه حديثا مطولا وفيه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمى يا ام سليم ما عندك • فأتت بذلك الخبز • فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم • • • • • • • • • • وعصرت ام سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول : ائذن لعشرة • فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا • ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا • ثم قال : ائذن لعشرة • فأكل القوم كلهم وشبعوا • والقوم سبعون أو ثمانون رجلا (٢)) •

٣ـ ومنها حنين الجذع اليه •

روى ذلك عن جمع من الصحابة .

روى البخارى ان جابر بن عبدالله رضى الله عنه يقول :

(كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل • فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت (٣))

٤ـ ومنها اخباره بحوادث سوف تقع فى المستقبل

وقد وقعت فعلا على ما أخبر • ومن ذلك :

(١) ـ اخباره ان المسلمين سوف يحاربون قوما من الترك •

وقد حدث فعلا بعد قرون عديدة انهم قاتلوا المغول وغيرهم من قبائل الأتراك •

---

(١) نفس المصدر ،جـ ٤ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦ •
(٢) نفس المصدر ،جـ ٤ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ •
(٣) نفس المصدر ،جـ ٤ ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ •

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة) الحديث (١) .

٢- واخباره صلى الله عليه وسلم ان المسلمين سوف يستولى على الحيرة وان الحجاج سيرحلون منها الى مكة فى أمان وسلامة .

وقد حدث فعلا ما أخبره فيما بعد ، كما ذكر التاريخ .

روى البخارى عن عدى بن حاتم قال (بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه أحد فشكا قطع السبيل . فقال : يا عدى ، هل رأيت الحيرة ؟ .

قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . قال : فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف أحدا الا الله) الحديث (٢) .

والخلاصة ان معجزات محمد صلى الله عليه وسلم . كثيرة جدا ذكرها كتب الحديث والسيرة . وهى لولم يتواتر ورود كل منها فالقدر المشترك متواتر لا ريب فيه وهو ظهور معجزة ما فى يده (٣) . فمجموعها شاهد على صدق نبوته ورسالته . كما أنه لولم يكن له الا معجزة القرآن فهو يكفى لان يكون شاهدا على صدقه ورسالته .

---

(١) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٢٣٨ .

(٢) نفس المصدر ، جـ ٤ ص ٢٣٩ .

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ، للغزالى ، ص ١٠٢

٢ ــ المسلك الثاني : نشأته وأحواله والظروف التى كان يعيش فيها وحقيقة شريعته وصراعه مع الكفار وانتصاره عليهم.

كان فى القرن السادس الميلادى دولتان قويتان فى العالم دولة الفرس فى الشرق ودولة الروم فى الغرب . وكانتا فى تنازع وقتال مستمر . ومع ذلك فقد كان الترف والاسراف والتفنن فى الملاذ بلغت حدا لا يوصف فى قصور الملوك والأمراء والقواد ورؤساء الأديان فى كل أمة . وكانت هذه الطبقة شرهة جدا وبالغت فى فرض الاتاوات والضرائب حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم . وكان المجتمع فى فوضى اذ كان القوى يختطف ما فى يد الضعيف والعاقل ينحصر فكره لسلب ما يملكه الجاهل .

وتبع ذلك أن الشعوب استولى عليها أنواع من الفقر والذل والخوف والاضطراب.

وكانت مشيئة الرؤساء غمرت ارادة من دونهم ففقد بذلك الاستقلال الشخصى وظن أفراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم .

وضلت السادات فى أهوائها وعقائدها وغلبت على الحق والعدل .

وكانوا يحذرون من ظهور النور الالهى ينير عقول العوام وقلوبهم فيثوروا عليهم ويقلبوا أمرهم . ولذلك لم يغفلوا من أن ينشئوا سحبا من الأوهام ليقذفوا بها فى عقول العامة فيغلظ الحجاب ويختنق بذلك نور الفطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين على أمرهم . وكأن لهم ينابيع وثنية لا تنضب بضروب من الشرك . وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين من شعوب متعددة .

وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة فى النزعات خاضعة للشهوات . وقد يقاتل بعضهم بعضا لأسباب تافهة . وبلغوا فى سخافة عقولهم أن صنعوا

أصنامهم من الحلوى ثم عبدوها فلما جاعوا أكلوها . كما أنهم كانوا يقتلون بناتهم تخلصا من عار حياتهن أو تنصلا من نفقات معيشتهن ، ولم يكن للعفاف قيمة عندهم . وبالجملة كانت ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل أمة وانفصمت عراها عند كل طائفة .

وفي مثل هذا الجو والظروف ولد محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام .

ولد بمكة يتيما ، توفي والده قبل أن يولد ولم يترك من المال الا قليلا ، وفي السادس من عمره توفيت أمه ، فاحتضنه جده عبد المطلب . وبعد سنتين من كفالته توفي جده ، فكفله من بعده عمه أبو طالب . وكان ذا شهامة وكرم الا أنه فقير لا يملك ما يكفي لأهله .

وكان صلى الله عليه وسلم يعيش مثل أترابه من القوم ، لم يقم على تربيته مهذب ولم يعن بتثقيفه مؤدب . كما أن البيئة حوله كانت وثنية جاهلة يسودها عبادة الأصنام والرذائل .

غير أنه صلى الله عليه وسلم كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا وفضيلة وأدبا . حتى عرف بين أهل مكة — وهو لم يزل شابا — بالأمين . فاكتهل رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملا والقوم ناقصون ، رفيعا والناس منحطون ، موحدا وهم وثنيون ، صحيح الاعتقاد وهم واهمون ، مطبوعا على الخير وهم به جاهلون وعن سبيله عادلون .

ومن السنن المعروفة ان يتيما فقيرا أميا مثله تنطبع نفسه بما تراه من طفولته الى كهولته ويتأثر عقله بما يسمعه ممن يخالطه لا سيما اذا كانوا من أقربائه ، ولا كتاب يقرأه ولا مرشد يهديه .

فلو جرى الأمر مجرى السنن المألوفة لنشأ على عقائدهم وذهب مذهبهم الى أن يكتمل عقله ويبلغ مبلغ الرجال ، فيفكر ويتأمل ويرجع

الى مخالفتهم اذا قام الدليل على خلاف ضلالاتهم كما فعل بعضهم من كانوا على عهده .

ولكن الأمر لم يجر على السنة العادية . بل كان يكره الوثنية من عهد طفولته كما كان حسن السلوك والأخلاق من أول نشأته .

وكان يجد شيئا من المال بسد حاجته . وله فى الاستزادة منه بما عمل لخديجة فى تجارتها وبما اختارته بعد ذلك زوجا لها ما يمكن أن يجعله يعيش فى ترف ورفاهية كما فعله أثرياء قومه وعظمائهم . لكنه لم يفعل ذلك ولم ترقه الدنيا وزخارفها ، بل كلما تقدم به السن زادت رغبته عما كان عليه القوم ونما فيه حب الانفراد والانقطاع الى الفكر والمراقبة والعبادة لله تعالى والتوسل اليه فى طلب المخرج من همه فى تخليص قومه ونجاة العالم . حتى تجلى عليه ~~روح القدس~~ جبريل ونزل عليه الوحى (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) (١)

لم يكن من أبائه ملك فيطالب بما سلب من ملكه ، وكانت نفوس قومه فى انصراف تام عن طلب مناصب السلطان وفى قناعة بما وجدوه من شرف النسبة الى المكان . لا مال له ولا جاه ولا أعوان ولا سلطة ولا سليقة فى الشعر ولا براعة فى الخطابة والكتابة . لاشيء عنده مما يكسب مكانة عالية فى نفوس العامة أو يرفعه الى مرتبة الخاصة . ورغم ذلك انتدب نفسه لارشاد الناس . ما الذى ساقه الى ذلك ؟ ما كان ذلك

---

(١) العلق : ١ — ٤

الا ما ألقاه الله في روعه من حاجة العالم الى من يقوم عقائده ويصلح ما فسد من أخلاقه وأعماله • وما هو الا الوحي الالهي يسعى نوره بين يديه ويهديه الى سواء السبيل •

قام بهذه المهمة العظيمة وحيدا لا معين له ولا نصير يدعو الناس كافة الى التوحيد وكلهم بين وثنية أو دهرية او زندقة او منحرفون عن كتبهم • دعا الى عبادة الله وحده وترك الأوثان ونبذ التثليث والتثنية والتشبيه • نادى الى النظر في الكون وما دل عليه من قدرة الله والوهيته •

صاح الى الزعماء والملوك ليصفوا صفا واحدا مع أتباعهم في الخضوع لمعبود واحد هو خالق السموات والأرض وما فيهما • تناول الاحبار والرهبان والكهان الذين يدعون التوسط بين العباد وربهم • فبين لهم بالبرهان الجلي وكشف لهم أنهم سواسية مع أتباعهم أمام الله تعالى وطالبهم بالنزول عما انتحلوه الى الاشتراك مع جميع الناس المؤمنين في عبادة الله والاستعانة به يستوى جميع الخلق في النسبة اليه لا يتفاوتون الا بالتقوى • مال الى أهل الكتاب فبكت الواقفين عند حروفه بغباوتهم وشدد النكير على المحرفين له • ودعاهم الى فهمه وتحقيقه حتى يكونوا على هدى من ربهم •

دعا الناس أجمعين الى معرفة أنفسهم أن الله قد خصهم بالعقل وشرفهم به وبحرية الارادة فيما يرشده عقله وان الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الأكوان وسلطهم على فهمها والانتفاع بها بدون شرط ولا قيد الا الوقوف عند حدود الشريعة العادلة والفضيلة الكاملة • وأقدرهم بذلك على أن يصلوا الى معرفة خالقهم بعقولهم بدون واسطة أحد الا من خصه الله بوحيه •

وقرر أن لا سلطان لأحد على آخر الا على حسب ما حددته الشريعة ، ثم الانسان بعد ذلك يذهب بارادته الى حيث يشاء .

ودعا الناس الى الاستعداد فى هذه الحياة الدنيا لما سيلاقون فى الحياة الأخرى وبين لهم أن خير الزاد هو تقوى الله والاخلاص له فى عبادته والاخلاص لعباده فى العدل والنصيحة والارشاد والعون .

قام بهذه الدعوة العظيمة وحده ولا حول له ولا قوة مع أن الناس يحبون ما ألفوا ويبغضون ما جهلوا . فكانوا لا يفقهون دعوته ولا يعقلون رسالته فالعامة منهم يتهمون زعماءهم . والزعماء أصابهم الغرور فلم يلتفتوا الى دعوة أمى فقير مثله . فهم لا يرون فيه ما يرفعه الى نصيحتهم والتطاول الى مقامهم الرفيع باللوم والتبكيت .

لكنه مع فقره وضعفه لم يزل يجادلهم بالتى هى أحسن يقارعهم بالحجة ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر وينبهم بالعبر . كأنما هو سلطان قاهر عادل أو أب حكيم شديد الحرص على مصالح أبنائه .

وكانوا يضطهدونه ويذلونه بشتى الوسائل حتى اضطر الى الهجرة عن موطنه ، الا أنه استطاع أن ينتصر عليهم فيما بعد ~~ويكون سيدهم وزعيمهم ومرشدهم~~ .

ولا بد من التفكير والعجب . كيف يكون قويا فى ذلك الضعف وكيف يكون حكيما عالما فى تلك الأمية ؟ وكيف يكون رشيدا مهتديا فى تلك الجاهلية الجارفة ؟ وكيف ينتصر عليهم بعد ذلك الاذلال والاضطهاد ؟

ولا جواب لهذه الحيرة الا أن ذلك خطاب الله القادر على كل شىء الذى وسعت رحمته كل شىء . ذلك أمر الله على لسان من اصطفاه واختصه به ، وهو أضعف قومه ليقيم من هذا الانتصار برهانا عليه بعيدا عن التهمة لاتيانه على غير المعتاد بين خلقه .

وأى برهان على النبوة أعظم من هذا : أمى قام يدعو الكاتبين الى فهم ما يكتبون وما يقرأون ، بعيد عن العلم صاح بالعلماء ليمحصوا ما كانوا

يعلمون ، بعيد عن العرفان يرشد العرفاء ، ناشئ بين الواهمين يقسوم الحكماء ، غريب فى أقرب الشعوب الى سذاجة الطبيعة وأبعدها عن فهم نظام الخليفة والنظر فى سننه البديعة يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة ويخط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها ولن يخلص تاركها .

اذن لا يمكن الا ان نقول ان ذلك الرجل الامى ان هو الا بشر يوحى اليه نبى من أنبياءه تعالى . جاء بشرع من عنده فيه هدى ونور يهدى من يشاء الى صراط مستقيم. (١)

---

(١) انظر : رسالة التوحيد ، لمحمد عبده ، ص ٦٨ - ٧٥
وايضا ، الاعتقاد ، للبيهقى ، ص١٢٩

الفصـــل الخامــــس

الصفات التى تجب للرســل والأنبيــــــــاء

الفصل الخامس

الصفات التى تجب للرسل والأنبياء

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق ونخبة البشر • اصطفاهم الله عز وجل وبعثهم سفراء الى الناس وقدوة لهم مبشرين ومنذرين وحجة عليهم• قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (١) وقال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) (٢) •

لذلك لزم ان يكونوا المثل العليا فى جميع نواحى الكمال والقدوة المثلى لهم وان يتحلوا بأرفع الصفات وأكمل الأخلاق وان يكونوا سالمين مبرئين من العيوب والنقائص البدنية الموجبة لنفرة الناس وتباعدهم ،كما لزم ان يكونوا معصومين من الذنوب والآثام والاشياء المخلة بالمروءة•

وقد فصل علماء العقيدة الكلام فى ذلك وذكروا صفات يجب توفرها فى الأنبياء والرسل ، فمنها :

١- ان يكون النبى ذكرا •

٢- وان يكون كامل العقل فطنا ذكيا •

٣- وان يكون صادقا •

٤- وان يكون أمينا فى تبليغ ما عهد اليه بتبليغه•

٥- وان يكون سالما من العيوب والصفات المنفرة للناس سواء كانت حسية او معنوية ، كالبرص والجذام وزنا الآباء وعهر الامهات والغلظة

---

(١) البقرة : ٢١٣•

(٢) النساء : ١٦٥

والغظاظة وغير ذلك .(١)

٦ — وأن يكون له العصمة من كل ما يشوه السيرة النبوية . سواء كان ذنبا أو أمرا مخلا بالمروءة .(٢)

ويمكن أن تجمع هذه الصفات كلها في أمر واحد وهو أن يكون سالما من الأمور التي تخل بحكمة البعثة .(٣)

وأما فيما عدا ذلك فالأنبياء والرسل بشر يعتريهم ما يعتري سائر أفراد البشر فهم يأكلون ويشربون وينامون وينكحون ويمرضون ، وقد ينسون فيما لا علاقة بتبليغ ما أمرهم الله بتبليغه وقد تمتد اليهم أيدي الظلمة وينالهم الاضطهاد والتعذيب ، وقد يقتلون كما حدث لأنبياء بني اسرائيل قال تعالى (ويقتلون النبيين بغير الحق)(٤) نعم من الأنبياء من عصمهم الله بعصمته كما كان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى (والله يعصمك من الناس)(٥)

والحكمة من البعثة هداية الناس ودعوتهم الى الطريق المستقيم فاذا كتم النبي بعض ما يجب تبليغه فقد حجب عن الناس الهداية وضاعت الحكمة من بعثته . واذا ارتكب كبيرة كان في ذلك اغراء للناس على ارتكاب مثلها فاذن تضيع الحكمة من البعثة . واذا كان فيه منفر انصرف الناس عنه فكيف يوصل اليهم اذن هدى الله وأحكامه .

---

(١) مقاصد الطالبين وشرحه ، للتفتازاني ، جـ ٢ ص ١٤٦ .
وايضا : المغني ، لعبد الجبار المعتزلي ، جـ ١٥ ص ٢٨١ .

(٢) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٤ — ٢٠٦
وايضا : مقاصد الطالبين وشرحه ، جـ ٢ ص ١٤٢ — ١٤٣

(٣) مقاصد الطالبين وشرحه ، جـ ٢ ص ١٤٦

(٤) البقرة : ٦١ (٥) المائدة : ٦٧

الذكورة :

واختلف علماء العقيدة في كون الذكورة صفة يجب توفرها في الأنبياء •

قال جمهور العلماء : ان الذكورة شرط النبوة ويجب توفرها في الأنبياء•

واحتجوا بأدلة :

١ـ قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم) (١) وقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (٢) •

٢ـ ان من شرط النبوة كمال العقل والدين • والنساء ناقصات عقل ودين كما في الحديث الصحيح :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن • قالت : يا رسول الله وما نقصان العقل والدين • قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل • وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان • فهذا نقصان الدين)• رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم (٣) •

٣ـ ان النبوة والرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة واظهار المعجزة والقدوة للناس كما قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٤) والأنوثة توجب الستر • وبينهما تناقض

---

(١) النحل : ٤٣
(٢) الأنبياء : ٧
(٣) صحيح البخاري ، ج ١ ص ٨٠ كتاب الحيض • وأيضا : صحيح مسلم ، ج ١ ص ٨٧ كتاب الايمان•
(٤) الاحزاب : ٢١ •

٤ـ النساء لا يصلحن للامارة والسلطنة والقضاء وامامة الصلاة للرجال بالاجماع • وهذه الأحكام من فروع النبوة والرسالة •
اذن فأولى ان لا يصلحن لأصل النبوة والرسالة • (١)

وقال بعضهم ـ وقيل ان القائل هو الاشعرى (٢) ـ : انه لا تشترط الذكورة للأنبياء • فيجوزان يكون النبى أنثى •

واحتج بقوله تعالى : (واذكر فى الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (٣) وبقوله تعالى (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) (٤)

فالاية الاولى بينت ان مريم نزل عليها جبريل لابلاغها ان الله قد قرر ان يمنحها ولدا وهو عيسى • ومعنى ذلك ان مريم من الانبياء ، لكونها نزل عليه الوحى عن طريق جبريل •

والاية الثانية اوضحت ان مريم نزل عليها الملائكة وأخبرتها أن الله اصطفاها على نساء العالمين • وذلك يدل على انها من أنبياء الله لأنها نزلت عليها الملائكة بوحى كما نزلت على سائر الأنبياء به ، ولان الله اصطفاها كما اصطفى آدم ونوحا وابراهيم وغيرهم من الانبياء •

أقول : والصحيح ما قاله الجمهور من ان الانبياء والرسل يجب أن يكونوا ذكورا • وذلك للأدلة السابقة ولأن قوله تعالى (وماأرسلنا

---

(١) شرح المسايرة ، لابن قطلوبغا ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ •
(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٠ • وايضا : لوائح الانوار البهية ، للسفارينى ، جـ ٢ ص ٢٦٦
(٣) مريم : ١٦ ـ ١٧ •
(٤) ال عمران : ٤٢ •

قبلك الا رجالا نوحى اليهم) نص صريح فى أنهم كانوا رجالا اى ذكورا •

وأما ما ذكر عن مريم ام عيسى فليست الاية نصا فى نبوتها • فمطلق الايحاء لا يوجب النبوة ، فلقد أوحى الله الى أم موسى كما قال تعالى : (وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه)(١) مع أنها ليست من الأنبياء بالاجماع • بل قد أوحى الى النحل كما قال تعالى (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا)(٢) ولم يقل احد بنبوة النحل • كما أن اصطفاء مريم على نساء العالمين لا يدل دلالة صريحة على كونها من الانبياء • فالله قد اصطفى طالوت على بنى اسرائيل ولم يجعله نبيا بل اصطفاه ملكا عليهم • قال تعالى فى قصة طالوت (وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا • قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال • قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم)(٣) وكذا لو كانت مريم من الانبياء لتحدث بذلك ولدها عيسى عليه السلام • بل كان ذلك اولى بالتحديث فان القوم قد اتهموها بالفاحشة فلو كانت من الانبياء لشهد بنبوتها عيسى حتى يكون ذلك اكبر شاهد على براءتها لأن ذلك هو الذى يدفع عنها صراحة شبهة البغاء • نعم ما ذكره من حديث عن شخصيته (قال انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا)(٤) الخ • يشهد براءتها ، لكن رغم ذلك فالأقوى بالشهادة والأولى بها ان يتحدث بنبوتها قبل الحديث عن نفسه •

---

(١) القصص : ٧

(٢) النحل : ٦٨

(٣) البقرة : ٢٤٧

(٤) مريم : ٣٠

كمال العقل والفطانة والذكاء

وأما كون النبى كامل العقل فطنا ذكيا فهذا واضح لأن النبوة فيها اقتناع بشريعة الله واقناع للناس بها • وذلك يحتاج الى كمال فى العقل وفطانة وذكاء لكى يستطيع الأنبياء ان يؤدوا واجبهم•

كما ان النبوة مهمة علمية وتربوية وسياسية وقضائية فى آن واحد • فالنبى يعلم أمته ما يجهلونه من أمور الدنيا والدين ويربيهم ويدعوهم الى عبادة الله وحده وطاعته ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه وينظم امور الدولة وسياسة الأمة • واذا كانت هذه مهمة الأنبياء فلابد ان يوجد فى حامليها صفة كمال العقل والفطانة والذكاء حتى يكونوا مستعدين لحمل هذه المهمة الصعبة • فبهذه الصفة يفهم النبى ما يلقى اليه من الوحى وبها يستطيع ان يعالج أمته بالتربية الحكيمة والقيادة السليمة وفق ما جاء به من تعاليم الله وشرائعه وما أرشد اليه الوحى وبها يستطيع ان يقنع قومه بما أمر بتبليغه وما كلف الله به قومه •

لذلك لا يصطفى الله أنبياءه ورسله الا ممن يتمتع بكمال العقل والفطانة والذكاء •

الصدق :

ان أنبياء الله ورسله صادقون فى اقوالهم ولا يجوز لهم ان يكذبوا فيما يبلغونه عن الله ، لأن الله قد اصطفاهم بالوحى اليهم وكلفهم بالدعوة اليه وتبليغ الرسالات الى الناس وزودهم بمعجزات تشهد على صدقهم وأنهم أنبياء الله ورسله حقا ومبلغين عنه ، فلا يجوز ان يكونوا كاذبين فيما يبلغونه عن الله•

أما فى غير ما يبلغون عن الله فلأن الأنبياء لا يجوز ان يكونوا أقل خلقا من سائر الناس • فان الكذب فى ذاته خلق ذميم فى عامة الناس

فكيف اصطفى الله رسولا كاذبا • وأيضا اذا كان كاذبا فلا يكون قدوة حسنة لأمته•

الأمانـــة :

وأما كونه أمينا فى تبليغ ما عهد اليه بتبليغه فلا يكتم شيئا مما أمر بتبليغه فلأن الأنبياء والمرسلين مبلغون عن الله تعالى وان الله اصطفاهم لهذه المهمة ، ولم يخترهم الله الا لأجل ان يبلغوا عن الله ما اراد ان يبلغوه • فخيانتهم فيما يبلغونه منافية لحكمة الرسالة • ومن هنا قال تعالى لنبيه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)(١) •

وايضا ان الله هدد أهل الكتاب باللعن والعذاب لكتمانهم ما جاء فى الكتاب من البينات والهدى • قال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)(٢) • وقال تعالى : (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)(٣) • واذا كان الأمر ذلك فى شأن أهل الكتاب فما بالك بالأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه•

---

(١) المائدة : ٦٧ •
(٢) البقرة : ١٥٩ •
(٣) البقرة : ١٧٤ •

السلامة من العيوب والصفات المنفـــــرة

ان الله بعث أنبياءه ورسله لأن يدعوا الناس الى الطريق المستقـــيم ويبلغوا ما انزل الله اليهم من أمور الدين • فمن طبيعة مهمتهم ان يجتمعـــوا الى الناس ويحاورونهم ويجادلونهم• لذلك لابد ان يسلم الأنبياء والرســـل من العيوب والصفات التى تسبب نفور الناس عنهم • فالله الحكيم اذا أرســـل رسولا الى الناس يدعوهم الى دينه فلابد من ان لا يخلق فيه ما يمنع النـاس من الاجتماع به ويدعوهم الى الفرار منه حتى يمكنه الاجتماع بهم ودعوتهـــم الى دينه•

ومن تلك الصفات المنفرة غلظة القلب والغظاظة • قال تعالى (ولو كنـــت فظا غليـظ القلب لانفضوا من حولك) (١) •

ومنها زنا الآباء والأمهات • فالزنا يعتبر أمرا مشوها للنسب ومـــن الاشياء التى يحتقـر الناس بها فى المجتمـع • ولا يمكن ان يكون من ارسله الله الى الناس حقيرا بينهم ، لأن ذلك يؤدى الى نفورهم منه ، فلا تـتم البعثـه مع وجوده •

ومنها البرص والجذام لأنهما مرضان منفران يفـر الناس من الـــذى أصيب بواحد منهما • فلا يجوز ان يكون من أرسلـه الله الى الناس مصابـــا به ، فيؤدى الى نفورهم منه وتكون بعثته عبثا لا تفيد شيئا •

العصمـة من الذنـــوب :

أما كون الانبياء والرسل معصومين من الذنوب والآثام فلعلماء العقيدة فيه تفصيـــل •

---

(١) ال عمران : ١٦٠

فالمعاصي اما أن تكون منافية لما تقتضيه المعجزة أولا والثاني اما أن تكون كفرا أو غيره .

والمعاصي غير الكفر اما ان تكون كبيرة أو صغيرة .

والصغيرة قد تكون منفرة للنفوس كسرقة حبة أو لا تكون . وكل ذلك اما ان يصدر منه عمدا أو سهوا بعد البعثة أو قبلها .

عصمتهم مما ينافي ما تقتضيه المعجزة

أما ما ينافي ما تقتضيه المعجزة فكالكذب فيما أمر بتبليغه وكتمانه .

وقد ذكر بعضهم أن علماء العقيدة اتفقوا على عدم وقوع ذلك منهم عمدا .(١)

أما سهوا فان القاضي أبا بكر الباقلاني شذ وذهب الى جواز وقوع الكذب منهم فيما يبلغونه عن الله تعالى على سبيل السهو والنسيان .

واستدل بأن المعجزة انما دلت على صدقه فيما هو متذكر له عامد اليه . وأما ما كان على سبيل النسيان والسهو فلا دلالة لها على الصدق فيه فلا يلزم من الكذب هنا نقض لدلالتها .(٢)

أقول : والصحيح ما ذهب اليه جمهور العلماء من أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم سهوا كما انه لا يجوز منهم عمدا لأن دلالة المعجزة أن لا يصدر من النبي ما يخالف مقتضاها . ومقتضاها كما علمنا أنه صادق في دعواه النبوة ، وفي جميع ما يبلغه عن الله . فلو كذب ولو سهوا لصدقته المعجزة في ذلك مع أنه خلاف الواقع . ونضرب لذلك مثلا بأنه لو حكم سهوا بأن الربا حلال أليس مقتضى المعجزة أنه صادق في هذا الحكم فيلزم حينئذ تصديق الكاذب . وهذا باطل .

---

(١) شرح الفقه الاكبر ، لملا على القارى ، ص ١٠ و ٥٩ وأيضا : المواقف وشرحه ، جـ٣ ص ٢٠٤

(٢) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٤

والتفريق في ذلك بين الكذب عمدا وسهوا لا يستند الى دليل . فدلالة المعجزة تبطل بصدور الكذب منه سهوا كما تبطل بصدوره منه عمدا .

وبما أن العصمة من ذلك مبنية على دلالة المعجزة على صدقهم علمنا أنها تجب لهم بعد البعثة لا قبلها .

عصمتهم من الكفر :

وأجمعوا على عصمتهم من الكفر قبل البعثة وبعدها[1] . وذلك لأنهم مرسلون من قبل الله تعالى ، فلا يجوز عقلا أن يكفروا به ، كما لا يجوز عقلا أن يصطفى الله أنبياءه ممن يكفرون به .

الا أن الأزارقة[2] من الخوارج يلزم على مذهبهم جواز صدور الكفر من الأنبياء . اذ قالوا بجواز صدور الذنوب منهم ، وكل ذنب كفر عندهم . فبهذا الطريق جاز عندهم صدور الكفر من الأنبياء.[3] وان كانوا يوجبون توبتهم من الذنوب . واستدلوا لهذا الرأي بقوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)

وهذا المذهب باطل لكونه مبنيا على قول باطل . وهو أن جميع الذنوب كفر . اذ ليس جميع الذنوب كفرا على الصحيح . قال تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله)[4]

فقد وصف الله الطائفتين المتقاتلتين بأنهما من المؤمنين . ولا ريب أن احداهما على ذنب فلو كان جميع الذنوب كفرا لم يصح هذا الوصف منه تعالى .

---

(١) شرح الفقه الاكبر ، لملا على القارى ، ص ٥٩ . وايضا : المواقف وشرحه ج٣ ص ٢٠٤

(٢) هم أتباع نافع بن الأزرق (ت ٦٠ هـ) . وكانوا يخرجون معه من البصرة الى الاهواز وكان من بدعهم اسقاط الرجم عن الزنا واكفار على رضي الله عنه . (أنظر : الملل والنحل للشهرستانى ج١ ص ١٢١-١٢٢ . وأيضا : مقالات الاسلاميين للأشعرى ج١ ص ١٧٤)

(٣) المواقف وشرحه ، ج ٣ ص ٢٠٤ (٤) الحجرات : ٩

وشذ أيضا الشيعة اذ قالوا بجواز اظهار الكفر تقية خوفا من الهلاك . واحتجوا بأن أظهار الاسلام حينئذ القاء النفس فى التهلكة . وهو منهى عنه .(١)

قال تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)(٢) واحتجوا أيضا بقوله تعالى : (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان)(٣)

وهذا القول غير صحيح :

أولا :ان ما ذكروه فى جواز تأويل الكفر انما هو فى غير الانبياء لان الأنبياء اذا جاز لهم التقية باظهار الكفر خوفا من الهلاك لأدى ذلك الى اخفاء الدعوة وترك تبليغ الرسالة . اذ أولى الأوقات للتقية هو وقت الضعف حينما قل المؤمنون وضعفت شوكتهم . وكثر الكافرون وقويت سلطتهم . وهذا الوقت يجب أن تنشط فيه الدعوة وأن تنشر فيه الرسالة لكى يزداد المؤمنون وتقوى شوكتهم . ولو أهملت الدعوة فى ذلك الوقت لانحسر الحق ولانطفأ نور الهدى ولا اندثر الدين الذى جاءوا به وليكون ارسالهم عبثا ، لاهمالهم برسالتهم وواجبهم .

ثانيا : أنهم لو كفروا ولو تقية لكانوا قدوة سيئة وهذا باطل .

ثالثا :لو جاز كفرهم تقية لوجب اتباعهم فى ذلك وهذا باطل .

ويشهد لهذا شهادة سافرة أن كثيرا من أنبياء بنى اسرائيل قتلوا . قال تعالى : (ويقتلون النبيين بغير الحق)(٤) فما بال هؤلاء لم يدرءوا عن أنفسهم القتل بالكفر تقية .

---

(١) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٥
(٢) البقرة : ١٩٥
(٣) النحل : ١٠٦
(٤) البقرة : ٦١

وأيضا لو جازت التقيـة بالكفر خوفا للهلاك فلماذا أظهر موسى ايمانـه ودعوته الى الله مع أن فرعون كان قاسيا على المؤمنين وعذبهم عذابـا شديدا .

قال تعالى مبينا تهديد فرعون للسحرة الذين يؤمنون بموسى : (انـه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون × لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعـين) (١)

وقال مبينا دعوة موسى لفرعون الى توحيـد الله وعبادته وحده . والحوار الـذى دار بينهما وتهديد فرعون له .

(قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهمـا ان كنتم موقنين . قال لمن حولـه ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكـم الأولـين . قال ان رسولكم الذى أرسـل اليكم لمجنون . قال رب المشـرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين) (٢)

وكذلك أظهر ابراهيم الدعوة الى الله ولم يعمـل بالتقيـة مع أن قومـه هددوه بالقتل والاحراق . قال تعالى مبينا دعوة ابراهيم وتهديد قومـه له :

(فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النـار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون . وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانـا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكـم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) (٣) .

---

(١) الشعراء : ٤٩

(٢) الشعراء : ٢٣ _ ٢٩

(٣) العنكبوت : ٢٤ _ ٢٥ .

عصمتهم من الكبائر والصغائر
بعد البعثة

واختلفوا في صدور الكبائر من الانبياء بعد البعثة عمدا و سهوا •

اما صدورها منهم عمدا بعد البعثة فقال الجمهور من اهل السنة والمعتزلة والشيعة : ان الانبياء معصومون منها عمدا بعد البعثة (١) •

ونقل الرازى و غيره عن بعض الحشوية انهم يقولون بجواز اقدام الانبياء على ارتكاب الكبائر عمدا بعد البعثة (٢) •

واما سهوا ففيه خلاف •

قال الجبائى من المعتزلة بجواز صدور الكبائر

---

(١) المواقف وشرحه ، ج ٣ ص ٢٠٥
وايضا • الارشاد لامام الحرمين ، ص ٣٥٦
وايضا • المغنى للقاضى عبد الجبار ج ١٥ ص ٣٠٠ـ٣٠٢
وايضا • كشف المراد لابن المطهر الحلى ، ص ٢٧٤
(٢) عصمة الانبياء للرازى ص ٥
وايضا • المواقف و شرحه ج ٣ ص ٢٠٥

منهم بعد البعثة على سبيل السهو والخطأ فى التأويل (١)

وقال النظام من المعتزلة أيضا : يجوز صدورها منهم على سبيل السهو والنسيان • ثم انهم ينبهون على ذلك السهو والنسيان فيتنبهون • أما على سبيل الخطأ فى التأويل فلا يجوز • (٢) وهو ما ذهب اليه الرازى من الأشاعرة • (٣)

وقالت الشيعة : لا يجوز صدورها منهم بعد البعثة سهوا • وكذا عند أكثر المعتزلة • (٤) وهذا القول هو المختار عند الايجى والبيضاوى من الاشاعرة • (٥)

وأما الصغائر فاذا كانت من الصغائر الخسيسة وهى التى تلحق فاعلها بالاراذل والسفلة والحكم عليها بالخسة والدناءة — كسرقة حبة ولقمة — فانها تجب عصمتهم منها سواء كان عمدا او سهوا (٦) • ولا أعرف فى ذلك

---

(١) عصمة الأنبياء ، ص ٦
وأيضا • المواقف وشرحه ج ٣ ص ٢٠٥
(٢) عصمة الأنبياء ، ص ٦
(٣) عصمة الأنبياء ، ص ٧
(٤) كشف المراد للحلى ، ص ٢٧٤
وأيضا • اوائل المقالات ، ص ٧٠
(٥) المواقف وشرحه ، ج ٣ ص ٢٠٥
وأيضا • طوالع الانوار للبيضاوى ، ص ٤٢٨
(٦) المواقف وشرحه ، ج ٣ ص ٢٠٥

خلافا بين علماء العقيدة .

واذا لم تكن منها فان كان صدورها منهم عمدا فقد قال بعدم جواز ذلك الرازى و غيره من اهل السنة والمعتزلة (١) .

وهو ايضا مذهب الشيعة .(٢)

وقال بعضهم بجوازه . ونسب فى شرح المواقف هذا القول الى الجمهور .(٣)

واما سهوا فقد قال بجوازه الرازى(٤) واكثر الاشاعرة والمعتزلة (٥) . واشترط الجاحظ والنظام وغيرهما من المعتزلة وكذا الاشاعرة بانهم ينبهون عليه فيتنبهون وينتهون عنها(٦) .

وقالت الشيعة بعدم جوازه منهم (٧) .

---

(١) عصمة الانبياء للرازى ، ص٧
(٢) كشف المراد للحلى ، ص٢٧٤
(٣) المواقف وشرحه ، ج٣ ص٢٠٥
(٤) عصمة الانبياء للرازى ، ص٧
(٥) المواقف وشرحه ، ج٣ ص٢٠٥
(٦) نفس المصدر والصفحة .
(٧) كشف المراد للحلى ، ص٢٧٤
وايضا . تنزيه الانبياء للشريف المرتضى ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م ، ط ثالثة ص١

عصمتهم من الكبائر والصغائر قبل البعثة

وأما صدور الكبائر والصغائر منهم قبل البعثة ، فقد قال جمهور أهل السنة وبعض المعتزلة : أنه لا يمتنع صدور الكبائر والصغائر منهم قبل البعثة . واحتجوا بأن العقل لا يدل على امتناعها منهم قبلها ، وكذا لم يرد دليل سمعي على ذلك[1] . بل ورد في القرآن الكريم ما يدل على وقوعها منهم قبل البعثة . قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين)[2]

وقال بعض المعتزلة : ان الكبائر تمتنع صدورها منهم وذلك لأن صدورها منهم يوجب النفرة عمن ارتكبها وهي تمنع الناس عن اتباعه فتفوت مصلحة البعثة[3] .

وذهبت الشيعة الى أنهم معصومون من الكبائر والصغائر قبل البعثة ـ سواء صدرت منهم عمدا أو سهوا ـ كعصمتهم منها بعد البعثة[4] .

---

(١) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٥

(٢) القصص : ١٥

(٣) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٥

(٤) كشف المراد ، ص ٢٧٤ . وأيضا : المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .
وأيضا : تنزيه الأنبياء ، ص ١ .

دليل العصمة

اختلف المثبتون لعصمة الأنبياء من المعاصي هل هي عقلية اى ثبتت بدليل عقلى أم هى سمعية اى ثبتت بدليل سمعى ؟

أما المعتزلة فقد قالوا : ان عصمتهم من المعاصى ثبتت بدليل عقلى • وهو ـ كما نقله فى شرح المواقف ـ ان صدورها منهم يوجب سقوط هيبتهم عن القلوب وانحطاط رتبتهم فى أعين الناس فيؤدى الى النفرة عنهم وعدم الانقياد لهم ويلزم منه اضلال الخلائق وترك استصلاحهم • وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة (١) •

وقال القاضى عبدالجبار فى المغنى مبينا الدليل العقلى على العصمة ما ملخصه : ان الغرض من اظهار المعجزة هو كونه صادقا فيما يؤديه من الرسالة ، ولو جوزنا عليه الكبائر لجوزنا ان يكذب فيما يؤديه وان يغيره ويبدله ، وهذا يقدح فى دلالة المعجزة على صدقه • كما انه ان جاز ان يرتكب الكبائر فما الأمان من ان يرتكب الكفر كعبادة الأصنام وغيرها • ومن هذا حاله كيف يوثق بأنه يؤدى الشرائع (٢) •

ثم قال مبينا دليلا عقليا آخر :

" قد ثبت انه تعالى بعث الرسل لتعريف المصالح التى لا تعرف الا من قبلهم • فبعثتهم مصلحة •••• وقد ثبت فيما هو صلاح انه تعالى يجب ان يفعله على أقوى الوجوه فى كونه صلاحا •••• فاذا كان الصلاح

---

(١) المواقف وشرحه ،ج ٣ ص ٢٠٥

(٢) المغنى ،ج ١٥ ،ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ •

يقع على وجهين : على أحدهما يكون اقرب الى القبول وعلى الاخر لا يكون أقرب فلابد من ان يفعل ما هو الأقرب الى القبول • واذا صح ذلك فان النفوس لا تسكن الى القبول ممن تجوز عليه الكبائر سكونها الى من كان منزها عن ذلك • فيجب ان لا يجوز فى الأنبياء عليهم السلام صدور الكبائر (١) •

ويبدو لى ان المعتزلة يلاحظون فى وجوب العصمة فى بعض اعتباراتهم وحججهم وجوب الصلاح على الله تعالى كما هو واضح فى الدليل الاخير للقاضى عبد الجبار • والقول بوجوب الصلاح غير مسلم عند أهل السنة • كما ان القاضى يجعل العصمة من الكبائر من مقتضيات دلالة المعجزة • وهذا أيضا غير مسلم عند أهل السنة • اذ دلالة المعجزة عندهم تنحصر فيما يتعلق بتبليغ الرسالة • أما ما وراء ذلك فلا دلالة للمعجزة عليه (٢) • بمعنى ان المعجزة انما تدل على صدقهم فيما يبلغون عن الله تعالى • كقولهم : ان الخمر حرام ، فانه يدل على صدقهم فى أن الخمر حرام ، ولكنه لا يدل على أنهم لا يشربون الخمر • نعم يجب لهم العصمة بدليل آخر كما سيأتى •

أما الشيعة فقد قال ابن المطهر الحلى مبينا أدلة العصمة عندهم : " والدليل عليه بوجوه :

أحدها : ان الغرض من بعثة الأنبياء عليهم السلام انما يحصل بالعصمة فتجب العصمة تحصيلا للغرض • وبيان ذلك ان المبعوث اليهم لو جوزوا الكذب على الأنبياء والمعصية ، جوزوا فى أمرهم

---

(١) نفس المصدر ، جـ ١٥ ص ٣٠٢ •

(٢) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٥ •

ونهيهم وأفعالهم التى أمروهم باتباعهم فيها ذلك وحينئذ لا ينقادون الى امتثال اوامرهم • وذلك نقض للغرض من البعثة •

الثانى : ان النبى يجب متابعته فاذا فعل معصية فاما ان يجب متابعته أولا ، والثانى باطل لانتفاء فائدة البعثة • والأول باطل لأن المعصية لا يجوز فعلها ....

الثالث : انه اذا فعل معصية وجب الانكار عليه لعموم وجوب النهى عن المنكر وذلك يستلزم ايذاءه • وهو منهى عنه • وكل ذلك محال (١)

أقول : واذا أمعنا النظر على ما قاله ابن المطهر نجد ان أدلته بعضها عقلى وبعضها سمعى • فالدليل الأول عقلى قريب مما ذكره صاحب شرح المواقف عن المعتزلة •

والدليل الثانى والثالث من الأدلة التى ساقها أهل السنة كما سيأتى •

وأما الأشاعرة فقد قالوا ان دليل العصمة سمعى وليس عقليا • فعندهم ان العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا اذ لا دلالة عليه • بل هى واجبة بالأدلة السمعية (٢) •

ومن الأدلة التى ذكروها فى العصمة :

١ـ لو صدر الذنب منهم لوجب زجرهم ونهيهم عنه ، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر • ولكن زجر الانبياء غير جائز لأن فى ذلك ايذاء لهم • قال تعالى :

---

(١) كشف المراد ، ص ٢٧٤

(٢) المواقف وشرحه ، ج ٣ ص ٢٠٥ •

وأيضا : الارشاد لامام الحرمين ، ص ٣٥٦ •

(ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة) (١)

وبذلك يتضح ان صدور الذنب منهم ممتنع لأنه يؤدى الى ممتنع. (٢)

٢ـ لو صدر الذنب من الانبياء لكانت أمتهم اما ان يكونوا مأمورين باتباعهم فيه ، وهذا لا يجوز ، اولا يكونوا مأمورين به ، وهذا أيضا باطل لقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) (٣)

ولما كان صدور الذنب يفضى الى هذين القسمين الباطلين كان صدور الذنب منه محالا . (٤)

٣ـ لو صدر الذنب منهم لما كانوا مقبولى الشهادة لقوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (٥) فقد امر الله تعالى بالتثبت والتوقف فى قبول شهادة الفاسق . وهذا باطل فى حق الأنبياء . اذ من لم تقبل شهادته فى الأمور الدنيوية فكيف تقبل شهادته فى الأديان الالهية . (٦)

٤ـ لو أذنبوا لدخلوا تحت قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) (٧) ، وقوله

---

(١) الاحزاب : ٥٧

(٢) عصمة الأنبياء للرازى ص ٨ . وأيضا : المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٦

(٣) آل عمران : ٣١

(٤) عصمة الأنبياء ، ص ٨ . وأيضا : المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٦

(٥) الحجرات : ٦

(٦) عصمة الانبياء ، ص ٨ . وأيضا : المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٦ .

(٧) النساء : ١٤

تعالى (الا لعنة الله على الظالمين) (١) ، وقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) (٢)

وكون الانبياء معذبين خالدين فى النار وظالمين ملعونين وحصل لهم المقت من الله تعالى باطل اجماعا • فبطل ما أدى الى ذلك وهو ارتكابهم الذنب (٣) •

٥ـ قال تعالى : (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين) (٤)

فقد بين الله ان ابليس اتبعه الناس الا فريقا من المؤمنين ، واتباع ابليس يكون بارتكاب المعاصى • فاذا كان هذا الفريق هم الأنبياء فذاك ، واذا كان غير الأنبياء وجب ان يكون الانبياء ايضا لم يتبعوه بالطريق الأولى • وبذلك دلت الاية على ان الانبياء معصومون من المعاصى (٥) •

فهذه الايات المذكورة تدل على وجوب العصمة للأنبياء

أقول : وعندى انه لا مانع من كون دليل العصمة عقليا وسمعيا معا • فهى ثابتة عقلا كما هى ثابتة سمعا •

الخلاصة :

ومن العرض السابق نستطيع ان نلخص آراء العلماء فى العصمة كما يلى :

---

(١) هود : ١٨ (٢) الصف : ٢ ـ ٣

(٣) عصمة الانبياء ، ص ٩ • وأيضا : المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٦

(٤) سبأ : ٢٠

(٥) المواقف وشرحه ، جـ ٣ ص ٢٠٦ •

١- انهم اتفقوا على عصمة الأنبياء مما ينفى مقتضى المعجزة من الكذب فيما أمروا بتبليغه وكتمانه ولا يجوز ان يقع ذلك منهم لا عمدا ولا سهوا. وشذ الباقلانى وجوز ذلك منهم على سبيل السهو والنسيان. وقد علمنا خطأه فى ذلك.

٢- واتفقوا ايضا على عصمتهم من الكفر قبل البعثة وبعدها . وشذت الأزارقة اذ قالوا بجواز صدور المعصية منهم ، ولأن كل معصية - عندهم - كفر ، فيلزم من ذلك جواز صدور الكفر منهم.
كما شذت الشيعة بتجويزهم ظهور الكفر من الانبياء تقية. وقد علمنا بطلان قول الأزارقة والشيعة .

٣- واتفقوا ايضا على عدم جواز صدور الصغائر الخسيسة منهم بعد البعثة.

٤- أما عن الذنوب الأخرى فقد اختلفوا فيها .

(أ) قالت الشيعة : ان الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر قبل البعثة وبعدها سواء عمدا أو سهوا .

(ب) وقال جمهور المعتزلة : انهم معصومون من الكبائر عمدا وسهوا قبل البعثة وبعدها ، وكذا من الصغائر عمدا بعدها . ويجوز وقوعها منهم بعدها سهوا وقبلها عمدا وسهوا .

وقال الجبائى منهم : يجوز وقوع الكبائر منهم بعد البعثة على سبيل السهو والخطأ فى التأويل.

وقال النظام منهم : يجوز وقوع الكبائر منهم بعد البعثة على سبيل السهو والنسيان ثم ينبهون على ذلك ولا يجوز على سبيل الخطأ فى التأويل.

(جـ) واتفق أهل السنة على عصمتهم من الكبائر بعد البعثة عمدا وأما سهوا فقد قال البيضاوى واختاره صاحب المواقف انهم معصومون منها سهوا بعدها • وقال الرازى بعدم العصمة منها سهوا •

وأما الصغائر فقد قال الرازى بعصمتهم منها عمدا لا سهوا •

وقال بعضهم بعدم عصمتهم منها عمدا وسهوا •

وقالوا فى المعاصى قبل البعثة بجواز وقوعها منهم قبل البعثة صغيرة كانت أم كبيرة •

(د) وذهب بعض الحشوية الى ان الأنبياء غير معصومين من الكبائر بعد البعثة عمدا •

والمختار عندى فى مسألة عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر ان الانبياء معصومون بعد البعثة من الكبائر عمدا وسهوا ، وكذا من الصغائر عمدا • واذا وقعت منهم صغيرة سهوا بعدها فانهم ينبهون على ذلك فيتنبهون•

وأما قبل البعثة فانهم غير معصومين من الكبائر والصغائر اللهم الا ما ينفر الطباع عن متابعتهم فى رسالاتهم•

أما كونهم معصومين بعد البعثة من الكبائر عمدا وسهوا ومن الصغائر عمدا فللأدلة السابقة فى العصمة •

وأما جواز وقوع الصغيرة سهوا بعدها فلأن ذلك لا يخل بحكمة بعثتهم ولا يعرقل تأدية واجبهم فى الدعوة الى الله •

وأما جواز وقوعها قبل البعثة فلأن بعض الأنبياء قد ارتكبها فعلا قبل بعثتهم كما حدث لموسى عليهم السلام (١) •

---

(١) راجع : القصص : ١٥

وأما ما ذكروه من النصوص التى توهم صدور الذنب منهم فى زمان النبوة فالجواب عنها اجمالا هو :

ان ما كان منها منقولا بالآحاد وجب ردها لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصى الى الأنبياء . وما ثبت منه بالتواتر فما دام له محمل اخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لوجود دلائل العصمة ، وما لم نجد له محملا حملناه على انه كان قبل البعثة، أوكان من قبيل ترك الأولى ، أو من صغائر صدرت منهم سهوا .

ولا ينفى كونه من قبيل ترك الأولى اوالصغائر الصادرة سهوا تسميته ذنبا ولا الاعتراف بكونه ظلما ولا الاستغفار منه . اذ لعل ذلك لعظم شأنه عندهم أو منهم ، كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين .

والتفصيل فى الجواب لم تكن هذه الرساله محله ، بل محله كتب التفسير .

خاتمة

نتائج البحث

خاتمـــــــــــــة

فى نتائـــــــــــج البحـــــــــث

تناولت الرسالة مباحث عديدة : ففى الفصل الأول تناولـــــت مبحث معنى النبى والرسول والفرق بينهما وامكان البعثة والوحى • وفـــى الفصل الثانى عالجت موضوع حاجة البشر الى الرسالة • وفى الفصل الثالـــث بحثت مذهب الفلاسفة فى النبوة • وفى الفصل الرابع تعرضت لطريق اثبـــات النبوة والرسالة وتكلمت فيه عن المعجزة معناها وشروطها وامكانها ودلالتهـــا وتكلمت أيضا عن اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • وفى ذلك اثبات نبوات جميع الأنبياء • وفى الفصل الخامس وهو الفصل الأخير بحثت صفـــات الرسل والأنبيـــاء •

وبعد أن درسنا بأناة ورويـــة جميع هذه المباحث توصلنا الى النتائج التاليـــة : ـ

أولا ـ فى مبحث معنى النبى والرسول والفرق بينهما رأيت أن النبى والرسول مختلفان معنى مع عدم التباين بينهما الا أننى لم أصل الى تحديـــد وجه الاختلاف بينهما •

ثانيا ـ وفى مبحث امكان البعثة والوحى رأيت ان البعثة والوحى ممكنـــان عقلا • ولا مجال لانكارهما لوقوعهما فعلا • ورأيت أيضا ان البعثـــة ليست واجبة بل هى جائزة لله سبحانه •

ثالثاـ وتوصلت فى موضوع حاجة البشر الى الرسالة الى أنهم فى حاجة ماسة الى بعثة الأنبياء والرسل ليهدوهم الى الصراط المستقيم •

رابعا — وفى بحث مذهب الفلاسفة فى النبوة وجدت أنهم يقولون أن بعثة الأنبياء واجبة وأن النبوة مكتسبة وأن للأنبياء ثلاث خصائص : الاطلاع على المغيبات وصدور الأفعال الخارقة للعادة ومشاهدة الملك سامعا كلامه •

وقد ناقشت أقوالهم وذهبت الى ابطال قولهم بوجوب البعثة واكتساب النبوة وأن الحق جواز البعثة وعدم اكتساب النبوة • كما ذهبت الى أن تلك الخصائص الثلاث لا شك فى ثبوتها للأنبياء ووقوعها الا أنها ليست صفات ثابتة لهم بل هى طارئة ومنحة من الله تعالى ، وان اطلاعهم على المغيبات ليست بالطريقة التى صوروها ، كما أن صدور الخارق منهم ليس بتأثير من أنفسهم بل بخلق من الله تعالى ، وأنهم شاهدوا الملائكة وسمعوا كلامهم حقيقة وليس ذلك مجرد تخيل فى قوتهم المتخيلة كما زعمت الفلاسفة •

خامسا — وتوصلت فى مبحث اثبات النبوة والرسالة الى أن المعجزة هى ما قصد به اظهار صدق المدعى للنبوة والرسالة ، وأنها ممكنة عقلا ووقعت فعلا فلا معنى لانكارها • كما توصلت الى أن لها شروطا معينة وأن دلالتها على صدق صاحبها دلالة عقلية لا يمكن التخلف عنها عقلا •

سادسا — ورأيت أيضا أن نبوات جميع الأنبياء ورسالات جميع الرسل ثبتت بثبوت نبوة ورسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما رأيت أن نبوته ورسالته ثبتت بالمعجزة التى صدرت منه وأعظمها القرآن •

ورأيت أيضا أنه يمكن اثبات نبوته ورسالته عن طريق تتبع أحواله ونشأته والظروف التى كان يعيش فيها وحقيقة شريعته وصراعه مع الكفار وانتصاره عليهم •

سابعا - وفى بحث صفات الأنبياء والرسل رأيت أنهم يجب أن يكونوا ذكورا ، وأن يكون لهم كمال العقل والفطانة والذكاء ، وأن يكونوا صادقين فى أقوالهم وأمناء فى تبليغ ما عهد اليهم بتبليغه ، وأن يكونوا سالمين من العيوب والصفات المنفرة للناس سواء كانت حسية أو معنوية ، وأن يكون لهم العصمة من الكفر قبل البعثة وبعدها ، كما أنى اخترت القول انهم معصومون بعد البعثة من الكبائر سهوا وعمدا ومن الصغائر عمدا .

واذا وقعت منهم صغيرة سهوا فانهم ينبهون على ذلك - فيتنبهون . وأما قبل البعثة فانهم غير معصومين من الكبائر والصغائر الا ما ينفر الطباع عن متابعتهم فى رسالتهم .

هذا .. والله أعلم بالصواب .

والحمد لله رب العالمين . "

فهرس المراجع

التى ورد ذكرها فى الهامش

فهرس المراجـــــع
التى ورد ذكرها فى الهامش

القرآن الكريـم

١ — اتحاف المريد بجوهرة التوحيد
الشيخ عبد السلام بن ابراهيم اللقانى
المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، ط ثانية ·

٢ — آراء أهل المدينة الفاضلة ·
أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى (ت ٣٣٩ هـ)
مكتبة محمد على صبيح وأولاده بمصر ·

٣ — الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد
امام الحرمين ابو المعالى عبد الملك الجوينى (ت ٤٧٨ هـ)
تحقيق : د · محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد
مكتبة الخانجى ، مصر ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م·

٤ — أســاس البلاغة
جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)
دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م·

٥ — الاشارات والتنبيهات
الرئيس أبــو على الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)
تحقيق : د · سليمان دنيا ·
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠م·

٦ — أصــول الدين
أبــو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمى البغدادى (ت ٤٢٩ هـ)
نشر : مدرسة الالهيات ، استانبول ، ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨م ، ط أولى ·

٧ — أصول الدين الاسلامى
محمد على ناصـــــر
المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت ·

٨ — أصول العقيدة
مهدى الصدر
دار الزهراء ، بيروت
٩ — أصول الكافى
أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى الرازى (ت ٣٢٩ هـ)
طبع مع شرحه : الشافى
مطبعة النجف ، النجف ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م .
١٠ — الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة
الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨ هـ)
تصحيح ونشر : الشيخ أحمد محمد مرسى ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م
١١ — أعلام النبوة
أبو الحسن على بن محمد الماوردى (ت ٤٥٠)
دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، ط أولى
١٢ — الاقتصاد فى الاعتقاد
حجة الاسلام محمد أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ)
مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .
١٣ — الانتصار
أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلى
المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٧ م .
١٤ — الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به
القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ)
تحقيق وتعليق : الشيخ محمد زاهد الكوثرى (ت ١٣٧١ هـ)
موسسة الخانجى ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م ، ط ثانية .
١٥ — أوائل المقالات فى المذاهب المختارات
أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب
بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)
تقديم وتعليق : فضل الله الزنجانى
المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م .

١٦ـ البداية من الكفايــة فى الهدايــة فى أصول الدين
الامام نور الدين الصابونى (ت ٥٨٠ هـ)
تحقيق : د . فتح الله خليف
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م.

١٧ـ تاج العروس من جواهر القاموس
محب الدين أبو الفــيض محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى
(ت ١٢٥٠هـ)
دار مكتبــة الحياة ، بيروت .

١٨ـ تجريد الاعتقاد
محمد بن محمد نصير الدين الطوسى (ت ٦٧٢ هـ)
طبع مع شرحــه : كشف المراد .
مكتبــة المصطفوى ، قم ، ايران

١٩ـ تفسيــــر المنار
الشيخ محمد رشيــد رضــا
دار المنار ، ١٣٦٧هـ ، ط ثانيــة .

٢٠ـ تلخيص المستدرك
الحافظ ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبــــــــى
(ت ٧٤٨ هـ)
طبع فى هامش المستدرك للحاكم النيسابورى
مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ١٩٦٨ م ، ط أولـى

٢١ـ التمهيد
القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ)
تصحيح ونشر : و تشــر د يوسف مكارثى اليسوعى
المكتبــة الشرقية ، بيروت .

٢٢ـ تنزيه الأنبياء
الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوى (ت ٤٢٦ هـ)
المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ط ثالثة

٢٣ـ تهافت الفلاسفة
حجة الاسلام محمد أبو حامد الغزالى (ت ٥٠٥ هـ)
دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ م ، ط خامسة ٠

٢٤ـ تهذيب اللغة
ابو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)
تحقيق : عبدالسلام هارون ٠ مراجعة : محمد على النجار
الدار المصرية للتأليف والترجمة٠

٢٥ـ التوحيد
الامام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدى (ت ٣٣٣هـ)
تحقيق : د ٠ فتح الله خليف٠
دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧٠ م٠

٢٦ ـ جامع البيان عن تأويل آى القرآن
الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)
تحقيق : محمود محمد شاكر
دار المعارف بمصر ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م٠

٢٧ـ حق اليقين فى معرفة أصول الدين
عبدالله شبر
تهران

٢٨ـ رسالة التوحيد
الشيخ محمد عبده
مكتبة الجامعة الأزهرية ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م٠

٢٩ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى
أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسى البغدادى (ت ١٢٧٠هـ)
ادارة الطباعة المنيرية ، مصر ٠

٣٠ـ رياض الصالحين
الامام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ)
مصطفى البابى الحلبى ، مصر ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م ، ط أولى .

٣١ـ السيرة النبوية
أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٣ هـ)
تقديم وتعليق : طه عبدالرؤف سعد
نشر : الحاج عبدالسلام بن محمد بن شقرون

٣٢ـ شرح الاشارات والتنبيهات
محمد بن محمد نصير الدين الطوسى (ت ٦٧٢ هـ)
طبع مع الاشارات والتنبيهات . تحقيق : د . سليمان دنيا
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ م.

٣٣ـ شرح الأصول الخمسة .
القاضى عبدالجبار بن أحمد الهمذانى المعتزلى (ت ٤١٥ هـ)
تحقيق : د . عبدالكريم عثمان
مكتبة وهبة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ط أولى .

٣٤ـ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية
قاضى القضاة صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز
الحنفى (ت ٧٩٢ هـ) .
نشر : زكريا على يوسف ، القاهرة.

٣٥ـ شرح العقائد العضدية
جلال الدين محمد بن أسعد الصديق الدوانى
طبع تحت عنوان : الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين
تحقيق وتقديم : د . سليمان دنيا
دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ، ١٩٥٨م/١٣٧٧ هـ ،
ط أولى .

٣٦ـ شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة
ملا على بن سلطان محمد القارى الحنفى (ت ١٠١٤ هـ)
مصطفى البابى الحلبى بمصر ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥ م ، ط ثانية.

٣٧ — شرح المسايرة
قاسم بن قطلوبغا
طبع فى هامش المسامرة لابن ابى الشريف القدسى
المكتبة التجارية الكبرى ، مصر

٣٨ — شرح هداية المريد المسمى بعمدة اهل التوفيق والتسديد
الشيخ محمد عليش
المطبعة المصرية البهية ، ١٣٠٦ هـ

٣٩ — الشفاء
الرئيس ابوعلى الحسين بن عبدالله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)
قسم الطبيعيات فى النفس ، تحقيق . د . جورج قنواتى وسعيد زايد
الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٧٥ م
قسم الالهيات
طهران ، ١٣٠٣ هـ

٤٠ — صحيح البخارى
الامام ابوعبدالله محمد بن اسماعيل البخارى (ت ٢٥٦ هـ)
مكتبة الجمهورية العربية ، مصر

٤١ — صحيح مسلم
الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى (ت ٢٦١هـ)
تحقيق . محمد فؤاد عبد الباقى
دار احياء التراث العربى ، بيروت ، ١٩٧٢ م

٤٢ — طوالع الانوار
القاضى عبدالله بن عمر البيضاوى (ت ٦٨٥ هـ)
طبع مع شرحه . مطالع الانظار لابى الثناء الاصفهانى (ت٧٤٩ هـ)
شركت علمية ، ١٣٠٥هـ

٤٣ — عصمة الانبياء
الامام فخرالدين محمد بن عمر الرازى (ت ٦٠٦ هـ)
نشر . محمد عبدالله السمان ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

٤٤ — عقائد الامامية
الشيخ محمد رضا المظفر
مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٧٢ هـ

٤٥ ـ العقيدة النظامية
امام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى (ت٤٧٨ هـ)
تحقيق : الشيخ زاهد الكوثرى (ت ١٣٧١ هـ)
مطبعة الانوار ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨م .

٤٦ ـ غاية المرام فى علم الكلام
سيف الدين على بن أبى على بن محمد الآمدى (ت ٦٣١ هـ) .
تحقيق : حسن محمود عبد اللطيف
لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م .

٤٧ ـ فتح البـارى
الامام الحافظ ابو الفضل احمد بن على بن حجر العسقلانى
(ت ٨٥٢ هـ) .
مصطفى البابى الحلبى واولاده ، مصر ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م .

٤٨ ـ الفتح الربانى
للشيخ احمد عبد الرحمن البنا الساعاتى
مصر ، ١٣٧٦ هـ .

٤٩ ـ فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه
د . ابراهيم بيومى مدكور
دار المعارف ، ١٩٦٨م ، ط ثانية .

٥٠ ـ قصة الديانات
سليمان مظهر
الوطن العربى .

٥١ ـ كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد
جمال الدين ابو منصور الحسين بن يوسف بن على بن المطهر
الحلى (٧٦٢ هـ) .
مكتبة المصطفوى ، قم ، ايران .

٥٢ـ لمع الأدلـة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعـة
امام الحرمين ابو المعالى عبد الملك الجوينى (٤٧٨هـ)٠
تحقيق وتقديم : د ٠ فوقية حسين محمد
الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ط أولى ٠

٥٣ـ لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية٠
الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى الأثرى (ت ١١٨٩هـ)٠
نشر : الشيخ على آل ثانى ٠

٥٤ـ مجمع الزوائـد ومنبع الفوائـد
نور الدين على بن أبى بكـر الـهيثمى (ت ٨٠٧ هـ)٠
مكتبـة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ٠

٥٥ـ محاضرات فى مقارنات الأديان ، القسم الأول : الديانـــات القديمة ٠
الشيخ محمد أبو زهـرة
مطبعة يوسف ، القاهرة

٥٦ـ المسامرة بشرح المسايرة
كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن أبى الشريف القدسـى (ت ٩٠٦ هـ)
المكتبـة التجاريـة الكـبرى ، مصـر ٠

٥٧ـ المستدرك على الصحيحين
أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)
مكتبـة النصر الحديثة ، الرياض ، ١٩٦٨ م ، ط أولـى ٠

٥٨ـ مسند الامام أحمد بن حنبل
الامام أحمد بن حنبل الشيبانى (ت ٢٤١ هـ)
المطبعة الميمنية ، القاهرة ، ١٣١٣ هـ ٠

٥٩ـ المغنى فى أبواب التوحيـد والعدل
القاضى عبد الجبار بن أحمد الـهمذانى المعتزلى (ت ٤١٥هـ)٠
تحقيق : د ٠ محمود الخضيرى و د ٠ محمود محمد قاسم
الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م٠

٦٠ـ المفردات فى غريب القرآن
أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)
تحقيق : محمد سيد كيلانى •
مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، مصر ،١٣٨١هـ/ ١٩٦١م•

٦١ـ مقارنة الأديان
د • أحمد شلبـــى
مكتبـــة النهضـــة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ،ط ثالثـة•

٦٢ـ مقاصد الطالبين فى علم أصول الدين
وشرحـه
سعد الدين مسعـود بن عمر التفتازانى (ت ٧٩١ هـ)•
مطبعة الحاج محرم أفندى ،استانبول ، ١٣١٥ هـ•

٦٣ـ مقاصد الفلاسفـة
حجـة الاسلام محمد أبو حامد الغـزالى (ت ٥٠٥ هـ)
تحقيق : د • سليمان دنيا •
دار المعارف بمصر •

٦٤ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
الامام ابو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى (٣٣٠ هـ)
تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد
مكتبـة النهضـة المصرية ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م • ط ثانية•

٦٥ـ الملل والنحل
محمد عبد الكريم بن أحمد الشهرستانى (ت ٥٤٨ هـ)
تحقيق : عبد العزيز محمود الوكيل
مؤسسة الحلبى وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م•

٦٦ـ موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان
نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ)
تحقيق ونشر : محمد عبد الرزاق حمـــزة
المكتبـة السلفيـة ، القاهرة•

٦٧ ـ المواقف
عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى (ت ٧٥٦ هـ)
طبع مع شرحه للشريف على بن محمد الجرجانى (ت٨١٦ هـ)
دار الطباعة العامرة ، ١٣١١ هـ.

٦٨ ـ ميزان الاعتدال
الحافظ ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت٧٤٨ هـ)
تحقيق : على محمد البجاوى.
دار احياء الكتب العربية . بمصر . ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢م ، ط أولى .

٦٩ ـ النبوات
شيخ الاسلام تقى الدين أبو العباس احمد بن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)
مكتبة الرياض الحديثة .

٧٠ ـ النجاة
الرئيس ابو على الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨ هـ)
نشر : محيى الدين صبرى الكردى
١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م . ط ثانية .

٧١ ـ نهاية الاقدام فى علم الكلام
محمد عبد الكريم بن احمد الشهرستانى (ت ٥٤٨ هـ)
تصحيح : الفرد جيوم
مكتبة المثنى ، بغداد .

٧٢ ـ الوحى المحمدى
الشيخ محمد رشيد رضا
مكتبة القاهرة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م ط سادسة .

= = = = =